

التدخين أضراره وتحريمه في القرآن

الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي
الأستاذ المتمرس في الشريعة والقانون

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الفهرست

المواضيع	الصفحة
المقدمة:- أهمية الموضوع. خطة البحث	
الفصل الأول:- طبيعة التدخين. نشأته. انتشاره ومكافحته	
المبحث الأول: طبيعة التدخين	
المبحث الثاني: التبغ نشأته وانتشاره	
المبحث الثالث: أسباب الاشتياق إلى التدخين وطرق مكافحته	
الفصل الثاني: أضرار التدخين الاجتماعية والاقتصادية والتناسلية	
المبحث الأول: الأضرار الاجتماعية	
المبحث الثاني: الأضرار الاقتصادية	
المبحث الثالث: أضرار التدخين السلبي	
الفصل الثالث: تأثير التدخين على الجهاز العصبي والهضمي والتنفسي	
المبحث الأول: تأثيره على الجهاز العصبي والحواس	
المبحث الثاني: تأثيره على الجهاز الهضمي	
المبحث الثالث: تأثيره على الجهاز التنفسي والدورة الدموية والحالة النفسية	
الفصل الرابع: تأثير التدخين على المرأة وتبعاتها	
المبحث الأول: أثر التدخين على المرأة ذاتها	
المبحث الثاني: تأثير تدخين الأم على الجنين والولادة	
المبحث الثالث: تأثير التدخين على وظائف الأمومة	
الفصل الخامس: تحريم القرآن التدخين بالعلة المنصوصة	
المبحث الأول: تحريم التدخين بالعلة المنصوصة	
المبحث الثاني: العلة المنصوصة وحجيتها	
المبحث الثالث: معلية أحكام الله بالأغراض	

	الفصل السادس: حماية النفوس والاموال والعقول من ضروريات الحياة
	المبحث الاول: ضرورة حماية النفس وما دون النفس
	المبحث الثاني: ضرورة حماية الأموال
	المبحث الثالث: ضرورة حماية العقول

الفصل الاول

طبيعة التدخين - نشأته - انتشاره

توزع دراسة هذا الفصل على ثلاثة مباحث يخصص الأول لطبيعة التدخين والثاني لنشأة التدخين والثالث لانتشاره.

المبحث الأول

طبيعة التدخين

التدخين من حيث الكيف إما ايجابي أو سلبي ومن حيث الانفعال إما عادة أو إدمان.

تعريف التدخين:

التدخين من البديهييات والبدهي غني عن التعريف ورغم ذلك يمكن تعريفه بأنه عملية تناول المباشر وغير المباشر للدخان الناتج من احتراق التبغ، أو هي استنشاق وزفير أبخرة تبغ محترقة. ويطلق على هذه العملية مصطلح التدخين الايجابي.

والتبغ نبات من الفصيلة الباذنجانية السامة، له أوراق كبيرة وزهور جميلة ذات لون أحمر وردي يرتفع عن الأرض حوالي مترين وما يستعمل منه لصنع التبغ أوراقه فقط⁽¹⁾.

عناصر التبغ:

أثبتت الدراسات العلمية والاكتشافات الطبية ان للتبغ ثلاثة عناصر:

1- القطران (Tar): هي المادة الناتجة من إحتراق السجارة التي تتصاعد مع الدخان على شكل رقائق صغيرة جداً ولونها بني داكن ولها رائحة خاصة تفوح من أفواه أغلب المدخنين والمدخنات وتتراوح كميتها بين (20-30 ملغم) في سجارة واحدة وتزداد نسبة المضرة والخطورة على حياة المدخن كلما إزداد عدد السجائر. وكما لها آثار خطيرة على المدخن منها ما يسبب الاصابة بمرض السرطان، ومنها ما له تاثيرات مهيجة للقنوات التنفسية والرئتين ومنها ما يسبب

(1) التدخين بين المؤيدين والمعارضين للدكتور هاني عرموش، ص9.

الإصابة بمرض السرطان، ومنها ما له تأثيرات مهيبة للقنوات التنفسية التي تبدأ بالسعال وتنتهي بالأمراض المذكورة. والقطران يوصف بأنه مادة صفراء مائلة للون بني تتكثف عند إحتراق التبغ.

ويقدر العلماء المختصون كمية القطران المجتمعة من إحتراق سجارة واحدة بطول (70) ملم ووزن غرام واحد بحوالي (17-40) ملغم حسب نوعية السجارة. 2- النيكوتين (Nicotine): وهي مادة كيميائية معقدة التركيب في حالته النقية عديم اللون شفافة ذات قوام زيتي ولها طعم حاد سريعة الدخول إلى الجسم إذ يمتصها بسرعة من خلال الغشاء المخاطي للفم والأنف والقصات الهوائية ويصل إلى الدم بشكل كبير من خلال الحويصلات الهوائية للرئتين وينحل باللعاب لينتقل إلى المعدة ومن آثاره السيئة انه يسبب زيادة ضغط الدم وزيادة معدل ضربات القلب وزيادة ترسبات الدهون في الشرايين وبالتالي إصابة المدخن بتصلبها وبالسكتة القلبية.

ويقدر المختصون كمية النيكوتين التي يمتصها المدخن من سجارة واحدة بالحجم الاعتيادي بحوال (1-20) ملغم من المواد السامة. 3- أكسيد الكربون (Carbon monoxide) وقد اثبتت الدراسات العلمية الحديثة انه أكثر خطراً على الصحة العامة من القطران والنيكوتين وانه سبب فعال في ازدياد خطر أمراض القلب كما له تأثير خطير على حياة الجنين الأم المدخنة قبل الولادة⁽¹⁾.

التدخين السلبي:

ذكرنا معنى التدخين الايجابي الذي هو العمل المباشر من المدخن نفسه. وأما التدخين السلبي فهو إستنشاق من لا يستعمل منتجات التبغ للدخان المنطلق من منتجات التبغ المحترقة.

وللدخان الذي ينفثه مستعمل منتجات التبغ من فمه او أنفه.

(1) د. أيمن عبدالرحمن فتاحي، التدخين بين الأطباء والفقهاء، ص30.

ويرى المختصون أن من يدخن (40) سجارة في غرفة فيها طفل رضيع يعتبر هذا الطفل كأنه قد دخن (10) سجائر. والحاضرون بقرب المدخن وبوجه خاص في مكان قليل التهوية يتعرضون للخطر بنسبة 4/1 من الخطورة التي يتعرض لها المدخن المباشر.

وتتأثر أسرة المدخن بنفس النسبة بصورة مستمرة واثبات دخول المواد الكيميائية الموجودة في دخان منتجات التبغ في جسم المدخن السلبي جاء من خلال قياس تراكيس تلك المكونات في الدخان الذي يستنشقه دخان منتجات التبغ وكذلك قياس بعض المكونات الحيوية مثل النيكوتين وأول اوكسيد الفحم ونحوهما لمنتجات التبغ في جسم المدخن السلبي⁽¹⁾.

وقد أثبتت دراسات قامت بها الجمعية الطبية الأميركية أن كميات صغيرة من الدخان الذي يستنشقه غير المدخن تكون كافية احيانا للتسبب في اضطرابات قلبية وأن (47) ألف أميركي من غير المدخنين يموتون سنويا من جراء استنشاقهم دخان سجائر الآخرين ويتعرض عدد كبير آخر لأزمات قلبية تؤدي إلى وفاتهم. وهكذا أثبت العلم الحديث والعلماء المختصون أن التدخين لا يقتصر ضرره على تدمير صحة المدخن وحده بل يتعداه إلى غيره ممن يخالطونه ويجالسونه أو يساكنونه في المنزل أو في مكان بالاكراه أو بالقسر يتعرضون لأنواع مختلفة من الأمراض التي يسببها التبغ.

فكم من أب مدخن كان سيجارته هي السبب في اصابة أولاده بالربو⁽²⁾. وفي دراسات أجراها معهد البحث البريطاني وشملت (91000) امرأة من غير المدخنات واللواتي يدخن أزواجهن توصلت إلى نتيجة مذهلة وهي ارتفاع عدد الاصابات بسرطان الرئة بين هؤلاء الزوجات⁽³⁾.

(1) أضرار التدخين السلبي والوقاية منها، منشورات الصحة العالمية نقلاً عن كتاب التدخين بين الأطباء والفقهاء للأستاذ أيمن عبدالرحمن الفتاحين ص139 وما يليها.

(2) اليوم العالمي للامتناع عن التدخين- جريدة الثورة الرسمية 1995/5/31.

(3) مجلة طبية- العدد 284/ايلول/1981- ص96 نقلا عن التدخين بين الاطباء والفقهاء- ص141.

وقد افنى بعض الفقهاء المعاصرين⁽¹⁾ بأن للزوجة التي يدخن زوجها أن تطلب التفريق القضائي بسبب تعرض صحتها للخطر عن طريق التدخين السلبي.

طبيعة التدخين من حيث الانفعال

انفعال المدخن بالتدخين يبدأ كعادة ثم نتيجة الاستمرار على التدخين تصبح هذه العادة إدماناً من الصعب الاقلاع عنه والعادة في قاموس علم النفس وضعية دائمة تتولد من التكرار والاستمرار وعندما تصبح عادة مكتسبة يستجيب لها الجسم بقوة وبدون تردد.

ويطلق لفظ (عادة habit) على الاستجابات الحركية وهي تشكل مدخلا إلى الإدمان.

والإدمان في قاموس علم النفس:- شهوة أو رغبة عنيفة في استهلاك منتجات سامة تولد حالة من التبعية.

وقبل انغماس الفرد في إدمانه يمر بدرجات من التعود المتنامي وبحالات من الحاجة المتعاطمة في الضرورة إليها إلى أن يقع في فخ الإدمان بحيث يستعصي عليه بعدئذ النهوض والابتعاد بمفرده وبغير مساعدة⁽²⁾.

وبناءً على ما ذكرنا ان التدخين من حيث طبيعته يبدأ بتأثير عوامل اجتماعية كعادة فقط غير انه بمرور الأيام يتخذ صورة الاعتياد او ما يسمى (الإدمان) تحت تأثير عواطف مختلفة منها عضوية ومنها نفسية أو اجتماعية كأى نوع من أنواع الإدمان الأخرى.

والتدخين قبل أن يأخذ صورة الإدمان يبدأ بتقليد ثم يتدرج إلى عادة بمعنى أن عادة التدخين تبدأ بتقليد شبيه بتقليد الاطفال للكبار واستمرارية هذا التقليد تعطي تصورا على استمرارية صفة الطفولة للمدخنين ولذا بالامكان أن يقال ان المدخن مازال طفلا مهما كبر عمره يقلد غيره بدون ان يعرف النتائج السيئة للفعل الذي يقلد فيه غيره ومن غير ان يشعر بمدى الاخطار التي يمكن ان تواجهه.

(1) كالأستاذ الشيخ القرضاوي.

(2) التدخين بين الاطباء والفقهاء- المرجع السابق- ص55.

المبحث الثاني التبغ نشأته وانتشاره

أصل كلمة التبغ من الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية كما يتضح ذلك من بعض الموسوعات والمعاجم وقد ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية⁽¹⁾: - ان التبغ لفظ اجنبي دخل العربية دون تغييره وقد أقره مجمع اللغة العربية). وفي المعجم المنجد في اللغة والاعلام⁽²⁾ ان التبغ وهو ما يعرف بالتتن أو الدخان جنس من النباتات الأميركية فيه مادة سامة مأخوذة من لفظ (تاباغو) وهو اسم جزيرة في خليج مكسيك التي نقل منها تبغ الى خارجها من العالم ويطلق على التبغ في اللغة العربية كلمة (تتن) وهي تركية تعني الدخان.

موطن التبغ الأول:-

موطن التبغ الأول هو القارة الأميركية ولكن لحد الآن لم يعرف بالضبط تاريخ ابتداء سكان تلك القارة باستعمال التبغ للتدخين لكن وجدت في بعض الحفريات في أميركا آثار يعود تاريخها إلى (600) سنة قبل الميلاد حيث كان من بين آثار تلك الحفريات (غليون)⁽³⁾ من الفخار لتدخين التبغ.

ومن الثابت تاريخيا أن كولومبس مكتشف القارة الأميركية 1492 قد وجد عند نزوله إلى القارة بين سكانها ناس يدخنون التبغ بالغليون. وقد استخدم التدخين منذ القدم كوسيلة ترفيهية في الاحتفالات الدينية مع الاعتقاد بأنه وسيلة سماوية تساعد المدخن على كشف خفايا الصدور.

وقد انتشرت هذه العادة في جنوب أميركا بين الهنود الحمر على أساس أن التدخين مرتبط بشعائر دينية وان استخدامه يؤدي إلى طرد الأرواح الشريرة وكانوا يستعملونه أيام الحزن حين دفن موتاهم وايام السرور وقت اقامة حفلاتهم

(1) 101/10.

(2) 59/2.

(3) سبيل معناه غليون.

معتقدين انه نبات مقدس ووسيلة للشفاء والوقاية من الأمراض ويقال ان أول من استعمل التبغ في التدخين هم كهنة القبائل المتواطنة في اواسط أميركا عند اقامة الشعائر الدينية.

وفي عام 1497 نقل الراهب (رامون بان Ramon Pane) إلى القارة الأوروبية الأخبار عن التبغ واستعماله في القارة الأميركية للتدخين.

وفي سنة 1519 جاء الرحالة أوفيدو Ouviedo لأول مرة بأوراق التبغ إلى أوروبا، أما بذور التبغ فلم تصل إلى القارة الأوروبية إلا عام 1559 ويعتقد أن أول من استعمل التبغ من الأوروبيين أحد ملاحي كولومبس حين أخذه إلى البرتغال وزرعه هناك فظن الناس ان الشيطان تقمصه (لبسه) حين شاهدوا الدخان يتدفق من فمه وأنفه.

وقد قدم أحد البحارة إلى الملك شارول الخامس ملك اسبانيا هدية ثمينة كانت عبارة عن أوراق التبغ وبذوره ثم بدا زرع التبغ في حدائق الأثرياء الأسبان لجمال أزهارها ثم انتقل التبغ إلى فرنسا عام 1559 عن طريق جين نيكوت Jean Nicot فرنسي الأصل عمل في البرتغال سفيراً لبلاده ثم نسب إليه اسم المادة (نيكوتين) وقد أرسل جان (اوجين) إلى ملكة فرنسا كاترينا⁽¹⁾ مسحوقاً من أوراق التبغ ونصحها باستعمال مسحوقها لشفاء وجع الرأس حيث كانت تشكو من آلام الشقيقة الحادة في رأسها (آلام نصف الرأس) وكان استعمالها للتبغ من أسباب انتشاره. وقد زرع جين نيكوت بذور التبغ في حديقة منزله وذلك بقصد الزينة بجمال اوراق نبتة التبغ الخضراء أو أزهارها الجميلة.

وكان عامة الناس يستعملون التبغ للشفاء عن الأمراض ثم انتقل الاستعمال إلى الاصحاء لازالة التعب والارهاق عنهم عند تدخينه وبعد ذلك انتقل التدخين إلى بريطانيا خلال عامي 1584-1585 م ثم وصل إلى ألمانيا ثم إلى سائر أنحاء أوروبا الغربية والشرقية ومنذ أواخر القرن السادس عشر انتشر التدخين بسرعة في أوروبا الغربية والشرقية ثم تحول التبغ من النبات المقدس إلى نبات الشيطان وحرمته الكنيسة وفي عام 1624م حرم البابا أوربان السابع التدخين على الطائفة

(1) في بعض المراجع كاترين.

الكاثوليكية كما أضافت الطائفة البروتستانتية إلى الوصايا العشر الوصية الحادية عشرة وهي (لا تدخن).

وبعد ان ظهرت خطورة التدخين عن طريق حوادث التسمم التبغى لجأ رجال بعض الدول في القرون الوسطى إلى اصدار قوانين تحرم التدخين ومنهم القيصر الروسي ميخائيل رومانوف حيث اصدر أمرا بتطبيق عقوبة الجلد على كل من يعثر عليه وهو متلبس بجريمة التدخين كما أصدر القيصر الروسي رومانوف عام 1649م قانونا حرم بمقتضاه التدخين في جميع الأوقات والأمكنة.

وفي ايطاليا فرضت الكنيسة عقوبة الاعدام على عدد من الرهبان الايطاليين يتهمهم بممارسة التدخين داخل الكنيسة. ورغم اتخاذ تلك الوسائل الوقائية والعلاجية ظل التدخين منتشراً في انحاء العالم.

وبالنسبة للبلاد الاسلامية لم تكن هذه العادة معروفة حتى اواخر القرن العاشر الهجري (631م) ثم أخذت العادة تنتشر بين المسلمين عن طريق اوربا وانتقلت هذه العادة السيئة إلى مصر سنة 1602م ثم إلى الجزيرة العربية. وهكذا أصبح الدخان جليس الرجال والنساء على حد سواء ورفيق العظماء والمفكرين والمساكين والفقراء في جميع بلاد العالم حتى أصبح مرضاً سارياً يصاب يصاب كل من يقترب منه بمرض قد لا يرجى شفاؤه إلا بصعوبة بالغة مكلفة وفي مقدمة أمراض التدخين مرض السرطان⁽¹⁾.

المبحث الثالث

اسباب الانسياق إلى التدخين وطرق مكافحته

أولاً: أسباب الانسياق إلى التدخين

(1) لمزيد من التفاصيل ينظر المراجع:- د. عبدالكريم الزعيم- التدخين وأشرها ص15 وما يليها. د. خليل وديع شكور: التدخين عادة سيئة يهديها الأهل للأبناء ص15 وما يليها، الأستاذ ايمن عبدالرحمن فتاحي- التدخين بين الأطباء والفقهاء ص15 وما يليها، الأستاذ هاني عرموش- التدخين بين المؤيدين والمعرضين المرجع السابق ص9 وما يليها، نضال عيسى: الجدد في أمراض التدخين ص10 وما يليها.

التدخين عادة سيئة يهديها الآباء للأبناء إما عن طريق تقليدهم لهم أو لاهمالهم وتقصيرهم في مراقبتهم ومحاسبتهم.

فالمسؤولية بالدرجة الأولى تقع على عاتق الوالدين في التربية والتوعية وللعائلة اليد الطولي في غرس الخصال الحميدة والعادات الحسنة التي ترضي الله وترضي الناس.

فالاسر خلايا هيكل المجتمع اذا فسدت فسد المجتمع وعمت الرديلة واذا صلحت صلح المجتمع وسادت الفضيلة. ومن البدهي ان قيام الارتباط المباشر بين الأهل والأولاد يؤدي إلى تأثرهم بهم سلباً أو ايجاباً. وبعد الأسرة تأتي مسؤولية المؤسسات التعليمية في توجيه الطلاب وتحذيرهم عن النتائج الخطيرة المترتبة على التدخين.

ثم تأتي مسؤولية المنظمات المهنية والجهات الرسمية الحكومية عن توجيهه وفرض العقوبات على ممارسة عادة التدخين السيئة ثم مسؤولية أفراد المجتمع وعدم تنبيه بعضهم بعضاً على خطورة التدخين وعدم توجيه اللوم والنصح إلى من يدخل في وسائل المواصلات وفي الطرق والمحلات الخاصة والعامة لان مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موزعة على الكل كما قال الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته).

ثم تأتي مسؤولية الزارعين عن تخصيص مساحات شاسعة لزراع التبغ فالمفروض أن تزرع تلك المساحات لبديل آخر من المزروعات ذات الفائدة للفرد والمجتمع والدولة.

وفي نفس الوقت يجب ان لا ننسى المسؤولية الشخصية للمدخن واندفاعه إلى هذه العادة السيئة تلقائياً أو تقليداً للغير لان الله سبحانه ميز الانسان من سائر الحيوانات بميزة العقل التي يجب أن تستخدم للتمييز بين الخير والشر والنفع والضرر ومعرفة ظاهرة التدخين الخطيرة التي تنطوي على مخاطر فردية وجمعية في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والصحية.

ويمكن ارجاع أسباب الاندفاع إلى التدخين إلى العوامل الرئيسية الآتية:

- 1- تقليد الآباء أو الزملاء في البيت والمدرسة وفي حالات الاحتكاك بالغير وتقليدهم الأعمى.
- 2- العامل الذاتي والشخصي ككون المدخن ذا شخصية هزيلة مضطربة وككونه مصابا بالأمراض النفسية والشعور بالنقص وتعويض ذلك بممارسة عادة التدخين.
- 3- زعم ان التدخين حلال المشاكل ووسيلة لهزيمة الهموم وتخفيف الآلام واستجلاب الفرح والراحة القلبية.
- 4- زعم ان التدخين وسيلة لازالة الأتعب لذا نجد ان كل من يمارس عملا يمارس التدخين في ساعات الفرص بزعم كونه سبب استرجاع الراحة القلبية والبدنية.
- 5- حب الظهور أمام الغير وابرار شخصيته الوهمية أمام الناس عن طريق التدخين.
- 6- فشل المدخن في عمله وفي دراسته وتغطية هذا الفشل بالتدخين. ونستنتج من هذه الأسباب وغيرها ان التدخين قبل تحوله من العادة إلى الادمان يمر بالمراحل الآتية:-
 - أ- مرحلة الطفولة المبكرة:- في هذه المرحلة يقلد المدخن أعمال وسلوك من هو أكثر الناس التصاقا به ولاسيما أحد والديه المدمن على التدخين والذي هو مثله الأعلى يحاول محاكاته والتشبه به.
 - ب- مرحلة الطفولة المتأخرة:- وفيما يقلد أعمال وسلوك أكثر الناس اتصالا واختلاطا به كأقاربه من غير والديه او أصدقائه المقربين له.
 - ج- مرحلة المراهقة:- وهي مرحلة بداية الرجولة مع التغيرات البيولوجية والفسيوولوجية في جسمه فيحاول أن يثبت وجوده وكيانه بالتوجه إلى عادة التدخين متحدياً كل من يقف في طريقه. وقد يكون الدافع منافسه زملائه في لفت الانظار اليه.
 - د- مرحلة الشباب:- ففيها يأخذ المدخن طابعاً متعالياً وبوجه خاص عند التلاقي بزملائه.

هـ- مرحلة العمل والوظيفة:- وقد يكون التدخين أثناء العمل الوظيفي تغطيه لفضله في أداء عمله أو تهدئته لخاطر وجداني حسب زعمه⁽¹⁾.
فعندما كنت طالباً في كلية القانون جامعة بغداد 1960-1965 لاحظت أن بعضاً من زملائي الطلبة ممن كانوا ضعفاء في الدراسة يدخنون أثناء الامتحان بكثرة مفرطة زاعمين أن التدخين هو الذي يعيد المعلومات إلى ذاكرتهم.

ثانياً:- طرق الإقلاع عن التدخين ومكافحته:-

الطرق التي نتناولها في هذا المجال تختلف كما وكيفا فمنها توجيهية ووقائية، ومنها شخصية ومنها جماعية، كما في الايضاح الآتي:-

- 1- استعمال الوالدين صلاحيتها الأدبية والمادية لمنع أولادها مبكراً من ممارسة هذه العادة السيئة وإذا كان كلاهما أو احدهما من المدخنين فعليهما بالاقلاع عن التدخين فوراً حتى لا يؤثر ذلك على الأولاد عن الطريق الأعمى، وقد قيل قديماً وحديثاً: إذا كان رب البيت بالدن ناقراً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص.
- 2- استعمال المعلمين والمدرسين والاساتذة كافة صلاحياتهم المادية والمعنوية لمنع الطلاب من التدخين داخل وخارج المؤسسات التعليمية وعقاب الطالب الذي يأبى ان يكف عن التدخين بعقاب تنقيص درجته لان دور المعلم لا يقتصر على التعليم وحده وانما يجب عليه بالاضافة إلى ذلك التربية والتوجيه والتوعية فالتعلم وحده لا يكفي إذا لم يقترن بالتحلي بالقيم والاخلاق والابتعاد عن كل رذيلة.
- 3- على الدولة منع التدخين في الدوائر والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية وتشريع قانون حظر التدخين في الدوائر وفي وسائل النقل والمواصلات البرية والبحرية والجوية وتحديد عقوبة للمخالف يزداد حجمها بتكرار ممارسة التدخين.
- 4- على الائمة والخطباء الاستمرار على النصح والتوجيه والتحذير للابتعاد عن التدخين والاقلاع عنه والافتاء بتحريمه في الشريعة الاسلامية وتخصيص جزء من الخطبة في كل جمعة لبيان اضرار التدخين من الناحية الاخلاقية والصحية

(1) الاستاذ محمد كامل عبدالصمد/ المدخن مازال طفلاً/ ص14 وما يليها.

والاجتماعية كما يجب على المفتي الافتاء بتحريمه وتعزيز هذا الافتاء بالأدلة العقلية والعقلية.

5- قيام الأطباء بتوجيه مرضاهم وتحذيرهم من ممارسة عادة التدخين وشرح الاضرار الصحية وخطورته على المريض المدخن وافهام المريض بانه سوف تترتب مضاعفات سيئة اذا استمر على التدخين. كما يجب نشر المقالات والابحاث الطبية في المجالات والجرائد والمؤلفات بحيث تتناول هذه الوسائل الاعلامية شرح وايضاح ما يترتب على التدخين من الأخطار والنتائج السلبية. كما يجب فتح العيادات الخاصة لمساعدة المدمنين على التوقف عن التدخين بالاضافة إلى استعمال اللقاح الخاص بدفع المدخن إلى الاقلاع عن التدخين، وقد اكتشف حديثا هذا اللقاح وأمل الكل وطيد بان ينتشر في العالم ويكون في متناول اليد بسهولة الاستعمال له ضد التدخين.

6- عقد ندوات تثقيفية يشارك فيها الاطباء والمختصون في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأخلاق والقاء الأبحاث والمحاضرات لتوضيح أخطار التدخين ونتائجه السلبية صحياً واقتصادياً واجتماعياً واستخدام وسائل الاعلام المرئية كالتلفاز وعرض صور الامراض التي يصاب بها المدخن كصورة آثار مرض السرطان وغيره. والوسائل المقررة كالجرائد والمجلات والمؤلفات لشرح النتائج السلبية الخطيرة للتدخين.

وكذلك استخدام الوسائل المسموعة كالمحاضرات والتوجيهات والارشادات الاذاعية.

7- الجهود الشخصية من المدخن نفسه للاقلاع عن التدخين كاستعمال قوة ارادته واستخدام الوسائل التي تساعده على ترك التدخين بصورة نهائية أو تدريجية. وعلى المدخن أن يستمر على قراءة المراجع والمصادر التي تتناول اضرار التدخين.

وأن يتناول ما يعوض عن التدخين كأكل الجوزات والحبوب واستعمال المسابيح ونحو ذلك كلما شعر بميله إلى التدخين. وان يستخدم عقله وتفكيره في ان أغلى ما يملكه الانسان هو صحته لانه لا لذة للحياة وملذاتها حالة غياب الصحة وبوجه

خاص ان الأمراض الناشئة عن ممارسة التدخين هي من الأمراض المستعصية من حيث الشفاء والمكلفة من حيث العلاج.

8- تخصيص يوم للاحتفال بيوم (مكافحة التدخين) اسوة بالعالم المتقدم، ونشر البوسترات والصور وتوزيعها على كافة الشوارع والطرق وداخل المؤسسات وخارجها لكي يأخذ المدخن من تلك الوسائل والذكريات عبرة تدفعه إلى الاقلاع عن التدخين.

الفصل الثاني

اضرار التدخين الاقتصادية والاجتماعية والسلبية

وتوزع دراسة هذا الفصل على ثلاثة مباحث يخصص الاول لاضرار التدخين الاقتصادية، والثاني لاضرار التدخين الاجتماعية، والثالث لاضرار التدخين السلبي.

المبحث الأول

اضرار التدخين الاقتصادية

هناك الكثير من الاضرار الاقتصادية التي يسببها التدخين سواء اكان ذلك على مستوى الافراد أم على المستوى الجماعي والدولي كما في الايضاح الآتي:-

أولاً: أضرار التدخين الاقتصادي على المستوى الفردي (الشخصي):-

من البدهي ان المدخن من ذوي الدخل المتواضع ينفق غالباً 25% من دخله الصافي على شراء السكاير ويقطع هذا المبلغ من قوت زوجته واولاده وغيرهم ممن تجب عليه نفقته، والاولى والأليق بمثل هذا الشخص ان ينفق تلك المبالغ على شراء الاغذية والالبسة وغيرها من متطلبات الحياة الاسرية الاخرى لان المدخن بتصرفه هذا يحرم اسرته من جزء لا يستهان به من مكسبه خلال سنوات عمره واستمراره على التدخين.

كما ان وفاته المبكر بسبب التدخين يضر بورثته ويحرمهم من المعيل والمربي لان العلماء المختصين في التحليلات والاستنتاجات والاكتشافات العلمية اثبتوا ان

كل من يستمر على التدخين يقل عمره من غير المدخن بما لا يقل عن عشر سنوات.

ثم ان التدخين قد يجعل المدخن عاجزا عن الكسب وتأمين معيشة من تجب عليه نفقته بالاضافة الى ذلك فانه ينفق المبالغ الباهضة على علاج مرضه الذي اصيب به بسبب التدخين كالسرطان وبذلك يحرم اسرته من جزء كبير من مكسبه ومورده.

ثانيا: الاضرار الاقتصادية على مستوى الدولة

أما بالنسبة لاضرار الاقتصادية للدولة بسبب التدخين فهي تتمثل عادة بالمشكلات الاقتصادية الناجمة من التكلفة التي يمكن ان تتحملها الدولة لمواجهة الامراض الصحية المترتبة على التدخين في المستشفيات وفي استيراد الادوية الغالية وبوجه خاص الادوية الخاصة بعلاج الامراض الناتجة من التدخين وفي مقدمتها مرض السرطان بانواعه المختلفة هذا بالاضافة الى نقص الانتاج الكلي الناتج عن الاعاقات الصحية التي يسببها التدخين الامر الذي يؤدي الى تعطيل كثير من المصابين عن القيام بمهامهم الوظيفية. وقد يؤدي التدخين الى وفاة رب الاسرة فحينئذ تقع مسؤولية الانفاق على افراد هذه الاسرة على عاتق الدولة اذا لم يترك الشخص المتوفي من يحل محله في تأمين معيشة هذه الاسرة فالدولة مضطرة في هذه الحالة الى دفع نفقات كافية للاسرة على اساس الضمان الاجتماعي.

وغالبا تكون الشريحة المثقفة في الدول النامية هي التي تستهلك التبغ الأمر الذي قد يؤدي الى فقدان هذه الشريحة وبذلك تنقص الكفاءات العلمية وغياب العقول المنتجة بالموت المبكر نتيجة التدخين وبالتالي تخسر الدولة الخدمات التي كان هؤلاء المختصون يقدمونها لبلدهم فيضر ذلك بالاقتصاد الوطني ويقلل من الدخل القومي. ثم ان بعض البلاد تستغل مساحات واسعة من الاراضي الزراعية لزراعة التبغ بدلا من استغلالها لزراعة المحاصيل الزراعية الضرورية في مجال تأمين المواد الغذائية الضرورية فعلى الدولة ان تضع حدا لظاهرة زرع التبغ

لتسخير تلك الاراضي لمصادر المعيشة الضرورية كالحنطة والارز والشعير ونحو ذلك.

لان تكثير زرع التبغ وتقليل زرع المزروعات الضرورية تجعل الدولة مضطرة الى استيراد تلك المواد الضرورية من الخارج. ومن البدهي ان هذا الاستيراد يكلف الدولة نفقات باهضة من اجل سد حاجات المواطنين الضرورية.

ثم ان تدخين السكائر قد يسبب نشوب الحرائق عن طريق رمي البقية الباقية من السكارا في مواقع قد يؤدي الى نشوب الحريق فهذا الحريق بالاضافة الى انفاق اطفائه فانه قد يؤدي الى اضرار مادية كبيرة كتدمير الابنية واحراق الاشجار والمزارع والمراعي ونحو ذلك من الخسارة في الارواح. ثم ان التدخين قد يؤدي الى تكوين الاوساخ والفضلات التي يتركها المدخن من وراء تدخينه ويلوث الشوارع والمحلات العامة التي تحتاج الى نفقات في سبيل تنظيفها وازالة تلك الاثار.

المبحث الثاني

اضرار التدخين الاجتماعية

1- قلما يصادف ان يدخن المدخن بمعزل عن الناس لانه غالبا يدخن في حالات الاختلاط بالغير والتقارب معهم من افراد اسرته او ممن يجتمع معه اثناء العمل او مع الركاب في وسائل المواصلات او في اي مكان اخر يحصل فيه الاحتكاك بينه وبينهم ففي هذه الحالات يقلق المدخن الناس وبوجه خاص اذا كان هذا الغير يكره التدخين او يكون مصابا بمرض يضره التدخين كمرض القلب او الربو.

2- غالبا يسكت جليس المدخن او القريب منه عن توجيه الانتقادات الى المدخن او توجيه نصح له بان يؤجل التدخين لوقت آخر فهذا الغير يبقى في وضع اجتماعي مزعج ينتظر وقت الافتراق من المدخن او انتهائه من تناول سكارته.

3- أحيانا المدخن يكون ضيفا لدى الطرف الآخر فمن الصعب توجيه اللوم اليه او منعه من التدخين من قبل صاحب البيت فتناوله للسكائر في غرفة الضيوف يلوث هواء الغرفة ويجعل صاحب البيت في موقف حرج مترددا بين الصراحة وبين كتمان ما يقلقه من استمرار ممارسة هذا الضيف للتدخين.

4- كل تدخين مباشر بقرب الغير يؤدي الى حدوث التدخين السلبي فيتأذى جليس المدخن او القريب منه بربع اذى المدخن نفسه وقد اثبت العلماء ذلك في الدراسات العلمية. وفي مثل هذه الحالات انه لا يقتصر ضرر التدخين المباشر على المدخن ذاته بل يستنشق جليسه الدخان عن طريق الهواء بعد ان يزداد تلوثا بسبب دخوله في فم المدخن ثم اخراجه عن طريق الفم او الانف.

5- قد يكون المصاب مصابا بمرض سار معروف لدى جليسه الذي يعيش قلقا معه خشية انتقال هذا المرض اليه عن طريق استنشاق هواء الدخان الذي يخرج من فمه وانفه.

6- غالبا يكون المدخن احد افراد أسرته فيؤذنبهم ليلا ونهارا من غير ان يستطيع احد من افراد الأسرة ان يقف في طريق تناوله سكاراة تلو الاخرى وبوجه خاص اذا كان المدخن ابا او رئيسا للعائلة فعندئذ يكون انزعاج الأسرة واضطراب راحتهم امرا مستمرا مفروضا عليهم رغم ارادتهم لا حول لهم ولا قوة في مقاومة تلك الظاهرة الكريهة وتلك العادة السيئة المضررة صحيا واجتماعيا واقتصاديا.

7- اذا انفرد احد الزوجين بالتدخين دون الآخر فان تأثير التدخين في هذه الصورة مصيبة لا تتحمل لان الزوج المدخن لا يفارق زوجه الاخر غير المدخن ليلا ونهارا فيبقى متأذيا من الرائحة الكريهة التي تأتي من فم الزوج المدخن الأمر الذي يدفع هذا الزوج الى ممارسة التدخين حتى يتساويا في الرائحة الكريهة الناتجة عن التدخين ويتحمل كل منهما اذى الآخر بسبب ممارسة هذه العادة السيئة.

اضف الى ذلك ان الزوج غير المدخن قد يتعرض لنفس الامراض التي يصاب بها الزوج المدخن بسبب ممارسة عملية التدخين.

8- الرائحة الكريهة التي تخرج من فم المدخن وتنتشر حوله لا تززعج افراد اسرته فحسب وانما يتأذى منها كل من يقترب منه وبوجه خاص في حالات المعانقة أو المصافحة بل يتأذى منها كل من يمر بقربه.

9- كراهية رائحة التدخين أشد كرها ونفرة وأقوى تأثيرا في الاذى من رائحة الثوم او البصل الذي يأكله الانسان.

وقد منع الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) دخول من آكل الثوم أو البصل في الجامع لاقامة الصلاة وأمر بانعزالهم مادام اثر الرائحة باقيا فقال (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا وليعتزل مساجدنا ويتعقد في بيته).

10- خطورة التدخين على جليس المدخن وعلى كل من يلتقي به في مكان واحد أو منزل واحد تكون اشد وأكثر خطورة اذا كان المكان أو المنزل مغلقا لا يوجد هناك منفذ لدخول الهواء الصافي كما في حالات اللقاء والاجتماع في بيت واحد او سيارة او طيارة او نحو ذلك في موسم الشتاء حيث لا يوجد هناك منفذ لدخول الهواء الصافي النظيف ولاستمرارية خروج دخان السكارة الملوثة.

11- التأثير بالوضع الاجتماعي قد يشجع على التدخين في بعض البلاد كما في الدول الغربية فالوضع الاجتماعي في هذه البلاد يشجع المرأة على التدخين معتبرة ان ذلك من مظاهر تحررها وتطورها بينما الوضع الاجتماعي في مجتمع آخر كالسعودية مثلا يعتبر التدخين بالنسبة للمرأة مشينا ومثيرا للاشمئزاز.

12- الوضع الاجتماعي بين الزوجين قد يدفع احد الزوجين غير المدخن الى ان يمارس التدخين كما ذكرنا رفعا للحالة النفسية التي يعيش فيها الزوج غير المدخن من انزعاج الرائحة الكريهة التي تأتي من الزوج المدخن.

المبحث الثالث

اضرار التدخين السلبي

التدخين السلبي هو استنشاق من لا يستعمل منتجات التبغ من فمه او انفه ويسمى التدخين القسري والتدخين بالاكراه ايضا وفيما يلي نماذج من اضرار التدخين السلبي:

1- أثبتت التجارب العلمية أن من يدخن في غرفة أربعين سكارا وفيها طفل رضيع يعتبر هذا الطفل مدخنا لعشر السكاير. لذا من الضروري عدم التدخين في الاجواء المغلقة وخاصة في غرف النوم وغرف الأولاد وكذا في وسائل المواصلات وبوجه خاص في أوقات الشتاء وشدة البرودة حين تكون النوافذ مغلقة والأبواب مسدودة خشية البرد.

2- اثبات دخول المواد الكيميائية الموجودة في دخان منتجات التبغ الى داخل جسم المدخن السلبي حيث ان هذه الترايس أكبر بكثير من ترايسها في الهواء الخالي من منتجات التبغ.

3- قياس بعض المكونات الحيوية مثل النيكوتين وأول أوكسيد الفحم وغيرها لمنتجات التبغ في جسم المدخن السلبي حيث ان ترايس النيكوتين في دم المدخن السلبي وبوله ولعابه أكبر بكثير من ترايسها في دم وبول ولعاب الذين لا يدخنون لا مباشرة ولا عن طريق الاستنشاق أي لا يتعرضون لدخان منتجات التبغ المنبعث من المدخنين⁽¹⁾.

4- تعيش الأسرة في بوتقة واحدة فأى تصرف يصدر عن عضو من أعضاء أسرة واحدة في مكان واحد يؤثر على سائر الأعضاء (الافراد) سلبا أو ايجابا ولذا يجب ان يتجنب كل عضو من افراد الاسرة عن ممارسة التدخين حتى لا يتعرض غيره للنتائج السلبية للتدخين المباشر عن طريق التدخين السلبي.

5- لقد أثبتت الأبحاث والتجارب العلمية ان التدخين القسري (السلبي) يضر بصحة غير المدخنين الذين يمكثون في أماكن ملوثة بدخان السكاير لان هذا الدخان يحتوي على عدد من المركبات الكيميائية والغازات السامة المؤذية⁽²⁾.

وقد وصل الباحثون المختصون في جامعة هارفارد الامريكية في دراسة استمرت عشر سنوات وشملت هذه الدراسة (32) ألف سيدة غير مدخنة ان التدخين السلبي أشد خطرا مما كان متوقعا من قبل العلماء المتخصصين في التجارب السابقة لان نتيجة تلك الدراسات هي ان النساء اللاتي شملتهن الدراسة وتراوحت اعمارهن

(1) أضرار التدخين السلبي والوقاية منها- منشورات منظمة الصحة العالمية- أيار- 2001م.

(2) زهير السباعي، طب المجتمع، ص135.

بين (36-61) عاما تعرضن لما وصل الى (152) أزمة قلبية كان من بينها (25) أزمة قاتلة وهذا يعني أن خمسين ألف أميركي آنذاك كانوا يموتون سنويا بسبب تأثير الدخان السلبي⁽¹⁾.

6- أثبتت التجارب العلمية ان نسبة احتمال حدوث سرطانات الرئة تزيد على 30% لدى غير المدخنين نتيجة التدخين السلبي.

7- أشارت دراسات قامت بها الجمعية الطبية الاميركية إلى ان كميات صغيرة من الدخان الذي يستنشقه المدخن السلبي تكون كافية أحيانا لان تؤدي الى حدوث الاضطرابات القلبية وتعرض عدد كبير آخر لأزمات قلبية غير مميتة⁽²⁾.

8- أثر التدخين السلبي على من يصاحب المدخن.. لا يقتصر ضرر التدخين على تدمير صحة المدخن وحده بل يتجاوزه إلى غيره ممن يخالطونه أو يجالسونه أو يساكنونه في منزل واحد أو في مكان العمل أو في وسائل المواصلات ويسمون هؤلاء المدخنين بالاكراه والقسروهم يتعرضون لانواع مختلفة من أمراض يسببها تدخين التبغ.

فكم من أب مدخن كانت سيكارتته هي السبب الرئيس في اصابة أولاده بالربو أو سرطان الرئة أو غيرهما من أمراض التدخين³.

9- أثر التدخين السلبي على الزوجات غير المدخنات.. ان النساء المتزوجات غير المدخنات يصبن أكثر من غيرهن إذا كن متزوجات رجال مدخنين بسبب التدخين السلبي وقد أكدت دراسات نشرتها الجمعية الأميركية لأمراض السرطان ان النساء غير المدخنات المتزوجات من المدخنين معرضات أكثر من غيرهن بنسبة 20% للاصابة بسرطان الرئة.

كما ان دراسة معهد البحث الوطني البريطاني وقد شملت احدى وتسعين ألف امرأة من غير المدخنات اللواتي يدخن أزواجهن توصلت (أي هذه الدراسة) إلى نتيجة مذهلة وهي ارتفاع عدد الاصابات بسرطان الرئة بين هؤلاء الزوجات كما

(1) جريدة تشرين السورية، في 1997/5/22.

(2) المرجع السابق، 1995/4/12. نقلا عن ايمن عبدالرحمن فتاحي، التدخين بين الاطباء والفقهاء، ص140.

³ الدكتور حسين الجزراوي/ اليوم العالمي للامتناع عن التدخين، جريدة الثورة الرسمية، 1995/5/3. نقلا عن المرجع السابق.

ثبت ايضا انه كلما ازداد عدد السكاير التي يدخنها الزوج ازدادت احتمالات اصابة زوجته بسرطان الرئة⁽¹⁾.

10- أثر التدخين السلبي على الأطفال: يترتب على تعاطي أحد الأبوين أو كليهما للسكائر آثار خطيرة منها التلوث الفضائي المنزلي لاسرة واحدة الذي يؤثر على الأولاد وبوجه خاص الطفل الرضيع وعلى سائر الأطفال الصغار الذين يقضون معظم ساعاتهم اليومية في منزل واحد ويكون هذا التأثير السلبي أكثر خطورة في فصل الشتاء حتى يكون الاجتماع في الغرف المغلقة حيث تصل مرحلة تأثير دخان السكائر على الأطفال الا انهم يدخنون ثلاثة سكاير يومية هذا اذا لم يكن المدخن من الوالد أو الوالدين من المدخنين والا ستكون نسبة العدد أكثر من ذلك بسبب التدخين السلبي⁽²⁾.

كما أثبتت الدراسات العلمية ان حوالي خمسة وعشرين ألف طفل يموتون سنويا بسبب تدخين ابويهم أو حدهما كما ان تدخين الأبوين يؤدي إلى انخفاض وزن اولادهم عند الولادة بمقدار 200غم وإلى ضعف مناعتهم ضد الأمراض إذا كانت الأم مدخنة.

11- أثر تدخين السلبي على الجنين: للتدخين أضرار خاصة بالسيدات الحوامل اذ يؤدي الى نقص نمو الجنين الحامل المدخنة ونقص وزنه كما يعرضه تدخين الام للعيوب والتشوهات الخلقية.

وترتفع نسبة الوفاة في اجنة المدخنات قبل الولادة أو اثنائها بمقدار 28% عنها في اجنة غير المدخنات لان اضرار التدخين تنتقل من دم الأم الى الجنين عن طريق الحبل السري ويمتد هذا التأثير الى ما بعد الولادة.

وقد ثبت ان النساء المدخنات بصورة منتظمة خلال الحمل يلدن اطفالا تقل أوزانهم بحوالي نصف باوند عن الطبيعيين وان هؤلاء النسوة يكن عرضة لفقدان

(1) مجلة طبيبك/ العدد 284 ايلول/1981/ص91/ نقلا عن المرجع السابق/ ايمن عبدالرحمن فتاحي.

(2) وزارة الصحة السورية/ التدخين أو الصحة مجموعة محاضرات القيت في الندوة الوطنية حول التدخين في الجمهورية العربية السورية 1996.

اطفالهن بنسبة مرتين عن طريق الاسقاط أو وفاة الجنين خلال الاسابيع الأولى من حياته⁽¹⁾ وولادته قبل اكمال نموه الطبيعي.

الفصل الثالث

تأثير التدخين على الجهاز العصبي والهضمي والتنفسي

وتوزع دراسة هذا العنوان من الناحية الشكلية على ثلاثة مباحث يخصص الأول لتأثير التدخين على الجهاز العصبي، والثاني لتأثيره على الجهاز الهضمي، والثالث لتأثيره على الجهاز التنفسي.

المبحث الأول

تأثير التدخين على الجهاز العصبي

من المعروف ان الجهاز العصبي اكثر اجهزة جسم الانسان من حيث التأثر والحساسية بسبب ممارسة التدخين. كما ان من الواضح ان الجهاز العصبي هو الجهاز الوحيد المسيطر والمنظم لجميع اجهزة الجسم الأخرى. وبمقتضى هذه الطبيعة للجهاز العصبي اذا تأثر هذا الجهاز بشيء خارجي سلبا أو ايجابا تتسم سائر الاجهزة الجسمية بنفس التأثر. ويترتب على هذه الظاهرة الطبيعية النتائج الآتية:

1- اذا تسمم جسم المدخن بمركبات دخان التبغ يشعر المدخن تلقائيا بالدوخة والارهاق الذهني والتوتر العصبي والصداع وعدم التركيز نتيجة تقلص الاوعية الدموية في الدماغ بسبب نقص كمية أوكسجين والدم الضروري للدماغ وهذا عندما يبدأ الجسم بعملية التخلص من النيكوتين الآتي من التدخين.

وهذه الظاهرة العصبية بدلا من ان تدفع المدخن الى الاقلاع عن التدخين او التقليل منه تشجعه على اشعال سكاره ثانية وثالثة وهكذا زاعما ان الاثار المذكورة الآتية من التدخين لا تزول الا بالتدخين فيبقى غارقا في مستنقع الجهل المركب⁽²⁾.

(1) التدخين/ الدكتور صباح ناصر العلوه جي/ص22.

(2) الجهل المركب يتكون من جهلين احدهما الجهل بالواقع والثاني الجهل بانه يجهل الواقع.

2- ان النيكوتين يعد علميا وواقعا عنصرا رئيسا من عناصر التبغ ودخانته ولذا يعد أقوى مؤثر على أعصاب السمع والبصر والتذوق من حيث اضعاف هذه الحواس والتقليل من قوتها وادراكها.

ومن المعروف ان المدخنين لا يحبون الحلويات ولا يتلذذون بلذتها وذلك بسبب ضعف حاسة الذوق في اللسان الناتج عن تأثير النيكوتين المباشر على اللسان⁽¹⁾.

3- ثبت علميا ان الدخان المتصاعد اثناء التدخين يؤثر على أغشية العين الخارجية الحساسة وبالتالي يؤدي الى حدوث تهيج والتهابات وبوجه خاص اذا كان مكان التدخين مغلقا غير جيد من حيث التهوية ثم ان الافراط في التدخين يؤثر على بعض الخلايا الشبكية والياف العصب البصري فيؤدي الاصابة بمرض (أمبوليا التبغ) وهو عبارة عن ضعف في قوة الابصار النتائج عن التسمم بمواد ضارة موجودة في التبغ المحترق.

والعلاج الوحيد للشفاء عن هذا المرض هو الاقلاع عن التدخين بصورة نهائية⁽²⁾.

4- النيكوتين يهاجم أول ما يهاجمه من أعضاء الجسم البشري الجهاز العصبي وبوجه خاص الجهاز العصبي الذي لا سلطان لارادة الانسان عليه الذي يسمى الجهاز العصبي الودي أو (السمباتي) وهو الذي يعصب أعضاء الجسم الداخلية كلها بما فيها الأوعية الدموية وغدد الهرمونات (الصماء) وجدير بالذكر ان فروع هذا العصب تخرج من الدماغ لتصل الى محولات على جانب العمود الفقري الذي تسمى العقد العصبية السمباتية.

ومنها تنتشر فروع الاعصاب على جميع الأعضاء الداخلية كما ذكرنا ويتبع هذا عصب آخر يخرج من الدماغ ولا يمر بالعقد السمباتية.

والجهاز العصبي السمباتي يدير أعمال الاحشاء كلها بما فيها القلب والشرابين والغدد⁽³⁾.

(1) ينظر محمد كامل عبدالصمد/ المدخن مازال طفلا/ص39.

(2) المرجع السابق/ص51.

(3) ينظر د. عبدالكريم الزعيم/ التدخين وأثره على الصحة العامة/ص65 وما يليها.

أما تأثر الجهاز العصبي بالتدخين فان مردوده السلبي يكون على هذه الاعضاء والاجهزة.

5- ان ضرر النيكوتين لا يقتصر في الجهاز العصبي على العقد السمبائية فحسب وانما يشمل ايضا جميع الأعضاء والدماغ بوجه خاص على الشرايين المعذية للدماغ لانه يحدث فيها تشنجا فتضيق وتقل كمية الدم في داخلها ويصاب الدماغ نتيجة ذلك بضعف عام في طاقته وقد يبلغ هذا التضيق في الاوعية الدموية درجة الانسداد التام وتوقف الدورة الدموية فيها لبرهة وجيزة فيفقد المصاب خلالها وعيه. ومن الواضح ان هذه الحالة تعد خطرا جسيما على من يكون اثناء ممارسة العمل فيفقد الوعي الفجائي كعمال المعامل والمصانع ممن يعمل على الآلات الميكانيكية وكسائق السيارات.

6- تأثير النيكوتين المستمر على الدماغ:- نتيجة الادمان في التدخين كثيرا ما يسبب الصداع والدوار واضطراب الذاكرة وحاسة النظر والارق وتحطيم قوى الجسم العامة.

7- استمرار النيكوتين في جسم المدخن يزيد من اعراض (النورستانيا) وتدفع المدخن الى ارتكاب الجرائم حيث يهيج اعصابه هذا اذا كان المدخن من الاشخاص الذين لهم الاستعداد الجرمي أو السوابق الجرمية.

8- استمرار النيكوتين في جسم المدخن يؤدي الى التشنج المستمر في شرايين الدماغ بتأثير التسمم المدمن بالنيكوتين وبالتالي يحدث الانفجار في الدماغ اذا كانت تلك الشرايين مصابة بالتصلب أو بارتفاع الضغط مما يؤدي الى الاصابة بالسبات الدماغى وبوجه خاص تزداد هذه الخطورة على المدخنين المسنين.

9- أثر النيكوتين على النخاع الشوكي: في النخاع الشوكي تتم عملية الانعكاس العصبي والتسمم المدمن بالنيكوتين، وهذه الوضعية اما تزيد في اثاره الاعصاب او تنقصها وكلتا الحالتين تفسد دقة عمل تلك الاعصاب وبالتالي تضطرب عمليات سير الانسان على الاقدام وعملية تفريغ المثانة (التبول).

10- الالتهاب في العصب الوركي:- ان بعض الاعصاب بسبب تسمم المدخن بالنيكوتين تصاب بالتهابات مؤذية ومؤلمة الى حد بعيد كالتهاب في العصب الوركي (الذي سمي في اللهجة العامية (عرق النسا))⁽¹⁾.

11- أثر التدخين على السلوك المتزن:- الجهاز العصبي مركز تلقى الاشارات وادارة السلوك ومنظم عملية الاتصال والتفاعل لذا من الطبيعي ان يكون سلوك الانسان موزونا بقدر سلامة هذا الجهاز والتدخين يخل بسلامة الوظيفة الموكلة الى الجهاز العصبي ويخل ايضا بوظائف الانسان العليا المتعلقة بالذكاء والتفكير والانتباه والحفظ.

وقد أثبتت التجارب العلمية الامريكية التي أجريت على طلاب المدارس والجامعات ان المدخنين أقل ذكاء ممن لا يدخنون وان ذاكرتهم أضعف ومقدرتهم على الحفظ أقل والسر في هذا التفاوت هو تأثير اعصاب المدخن باضرار التدخين. 12- أثر التدخين في اضعاف ممارسة المهارات:- اثبت التجارب العلمية ان تأثير الجهاز العصبي بالنيكوتين يؤدي الى الرجفان وعدم الثبات اللذين يعيقان ممارسة بعض المهارات.

وقد دلت الاختبارات التي أجريت في كلية جورج وليمز على ان الرجفان يزداد 100% بعد تدخين سكارتين⁽²⁾.

13- النيكوتين الموجودة في الدخان يؤثر على الألياف العصبية والدموية بشبكية العينين مما يؤدي الى اضرار متزايدة بالرؤية بالاضافة الى تهيج العين وزيادة معدلات الاصابة بأمراض الحساسية.

المبحث الثاني

تأثير التدخين على الجهاز الهضمي

(1) المرجع السابق/ص65 وما يليها.

(2) المرجع السابق/ص79 وما يليها بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع

للتدخين علاقة وثيقة مع جهاز الهضم وغالبا يصاب المدخن بنقص الشهية للطعام كما يصاب باسهالات خطيرة أو بامساك شديد أو باضطرابات هضمية أخرى أو نحو ذلك كما يتبين في الأيضاح الآتي:-

1- أثر التدخين على ضعف مقدرة جهاز الهضم:- التدخين يكون سببا لحدوث أمراض مزمنة في جهاز الهضم واضطراب الوظيفة الإفرازية للغدد الهاضمة واضطراب الوظيفة الحركية للمعدة فتتأثر سلبيا وتخفف افرازاتها بشكل عام ثم تصاب المعدة بالوهن والضعف وعدم المقدرة على هضم الطعام كما هو المطلوب الأمر الذي يعرض المدخن لنقص مقدرته على الهضم عموما أو يصاب بمشاكل واضطرابات هضمية عديدة.

2- التدخين يسبب اصابة المعدة بالقرحة:- وقد أثبتت الاحصائيات الأميركية ان 78% من المصابين بالقرحة هم الأشخاص المدخنون وان حالة المصابين بالقرحة من المدخنين اسوأ بكثير من المصابين من غير المدخنين.

3- تأثير التدخين على وظيفة الكبد:- من المعروف ان للكبد وظائف مهمة جدا في الانسان، وسلامته في عمله وهي ضرورية لاستمرارية الحياة السليمة في الانسان.

ومن وظائف الكبد طرح بعض السموم من الجسم حيث يفرزها من الدم ويلقي بها في جهاز الهضم.

والنيكوتين الذي يدخل في الدم عن طريق التدخين مصدر فعال للسموم التي تخرب جسم الانسان ويتولى الكبد وظيفة طرح بعض من هذه السموم الى خارج الجسم لكن استمرار عمل التدخين يعرض خلايا الكبد في نهاية المطاف الى اصابته بامراض متعددة منه مرض الضمور الكبدي الذي يضعف مقدرته على العمل وفي النتيجة يكون المردود السلبي لهذا الضرر ونتأجه الخطيرة على جسم الانسان بصورة عامة⁽¹⁾.

(1) ينظر د. هاني عرموش/ التدخين بين المؤيدين والمعارضين/ ص43 وما يليها.

4- سرطان المرىء:- أُثبتت التجارب العلمية وجود علاقة وثيقة بين التدخين وسرطان المرىء ويتضح ذلك جليا في الدراسات التي اجريت في بعض البلاد⁽¹⁾ وقد اثبتت تلك الدراسات ان التدخين من الاسباب الرئيسية لالتهاب المرىء حيث يؤدي الى ارتخاء العضلة عند مدخل المعدة مما يسبب التهاب المرىء ثم يتطور هذا الالتهاب الى اصابة المعدة والاثنا عشر بالقرحة ثم بالسرطان.

5- قرحة الاثنا عشر:- اثبتت الدراسات الطبية ان نسبة المصابين بقرحة الاثنا عشر هم من المدخنين اكثر من غيرهم وان للتدخين دورا رئيسيا في تاخير شفاء قرحة المعدة والاثنا عشر حيث يلعب النيكوتين دورا فعالا في تقليل كمية السوائل والبيكربونات التي يفرزها البنكرياس وعندئذ يؤدي ذلك الى ارتخاء عضلات مخرج المعدة ثم الى ارتجاع عصارة المرارة الى المعدة مما يسبب تهيجها واصابتها بقرحة الاثنا عشر ولو شفيت هذه القرحة عن طريق العلاج وتناول الادوية يستمر مردودها السلبي على صحة الانسان.

6- اثر التدخين على جهاز الدورة الدموية :- ويتالف هذا الجهاز من القلب وهو اهم عضو من اعضاء الجسم البشري ومضخة لدفع الدم عبر الشرايين الى مختلف انحاء الجسم ومستقبله عبر الاوردة للتنقية واعادة الضخ من جديد، والعلاقة بين التدخين وضرر القلب وثيقة.

وقد اثبتت الدراسات العلمية ان التدخين يزيد القلب بمقدار (15-20) ضربة لدى تدخين سكاره واحدة ويستمر هذا الوضع (10-20) دقيقه ثم يؤدي الى ارتفاع ضغط الدم ويبقى هذا الاثر لمدة نصف ساعة.

وقد اثبت الطب ان تقلص شرايين القلب نتيجة التدخين يؤدي الى الجلطة القلبية⁽²⁾.

7- التدخين وسرطان قولون:- اثبتت عدة دراسات قام بها المختصون مؤخرا في الولايات المتحدة الامريكية ان للتدخين دورا فعالا في نشوء بعض الاورام في الجهاز الهضمي التي تؤدي الى سرطان القولون⁽¹⁾.

(1) كجنوب افريقيا لدى الافريقيين وأواسط شرق آسيا.

(2) ينظر شراياك هارل:- هل لك من سكاره. نقلا عن دكتور خليل وديع/ المرجع السابق/ ص81.

8- مضاعفات التدخين في الجهاز الهضمي- التدخين يؤدي الى تأثيرات ضارة على الجهاز الهضمي اذ يمكن ان يحدث التدخين تقرحات في المعدة والاثنا عشر وتكون القرحة الناتجة من التدخين صعبة العلاج او معقدة⁽²⁾ وكذلك يؤدي التدخين الى حدوث الخلل في غدد التذوق باللسان وعسر الهضم كما يؤدي الى سرطان بنكرياس وتؤكد الاحصائيات الصحية ان معدلات اصابة المدخنين المعدة والاثنا عشر ثلاثة اضعاف مثيلاتها لدى غير المدخنين كما تؤكد الابحاث العلمية ان معدة المدخن تفرز احماضا تزيد على المعدل الطبيعي بحوالي الضعف⁽³⁾ وهذه المضاعفات يكون مردودها السلبي على صحة الجهاز الهضمي لكل من يمارس عملية التدخين.

9- تأثير التدخين على تصلب الشرايين:- تصلب الشرايين عبارة عن تغير جدار الاوعية الدموية مما يفقدها مرونتها وكذلك في الجدار الداخلي لهذه الاوعية مما يجعل هذا السطح خشنا وبالتالي يؤدي الى تضيق هذه الاوعية مما يضيق حركة الدم بداخلها. وقد ثبت علميا ان التدخين يحرم الجسم من 15% من الهيموكلوبين. كذلك ثبت علميا ان غاز التدخين له تأثير فعال في ترسيب الكولسترول في جدار الاوعية الدموية الامر الذي يساعد على سرعة تصلب الشرايين ثم حدوث الجلطة القلبية⁽⁴⁾.

المبحث الثالث

تأثير التدخين على الجهاز التنفسي

(1) ينظر الموقع الالكتروني الآتي:

www.avabiyat.com/fourmslarchiveltopic.

(2) مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- المجلد (20) العدد الاول 2004/ص207.

(3) ينظر الموقع الالكتروني:

www.geocities.com

(4) المدخن مازال طفل/ المرجع السابق/ ص48.

يندرج تحت هذا العنوان الفم واللسان والحنجرة والتهاب الجيوب واللوزيتين والقصبات واللثة والرئة. ونتناول بإيجاز بعضاً منها من حيث نتائج التدخين وتأثيره السيء فيها ونبدأ بما هو الأهم:-

1- التدخين وسرطان الرئة:- هناك دراسات علمية متعددة تؤكد الصلة الوثيقة بين التدخين والاصابة بسرطان الرئة.

أ- ومن هذه الدراسات احصاء أجري في الولايات المتحدة الأمريكية عن عدد الاصابات بسرطان الرئة عام 1970 بما يزيد عن (60) الف اصابة، فتبين من تلك الدراسات ان نسبة المدخنين من هذا العدد 98% أي 2% فقط لم يكونوا من المدخنين.

ب- وفي دراسة بريطانية أجراها العالمان برانور دهيل وورينشار دون فتبين من نتيجة بحثهما ان 1357 شخصاً توفوا وكان سبب وفاة هؤلاء الاصابة بسرطان الرئة ما عدا سبعة منهم فقط.

وكذلك توصلت كلية الاطباء الملكية البريطانية الى نتيجة وهي ان كل تسعة مدخنين يزيد عدد استهلاكهم للسكائر على (24) في اليوم يتعرض واحد منهم على الأقل للاصابة بسرطان الرئة⁽¹⁾.

ج- أكد العلماء السوفيت ان الاصابات بالأمراض الرئوية والقصبية المزمنة تلاحظ عند المدخنين بشكل واضح وبنسبة تزيد كثيراً عن النسبة بين أقرانهم من غير المدخنين.

وقد تبين لهؤلاء العلماء من دراساتهم الاحصائية ان من بين اثني عشر مصاباً بالتهاب الرئة أحد عشر منهم مصابون بالسرطان الرئوي بسبب الاستمرار على التدخين⁽²⁾. كما ثبت لهم ان الاصابة بالسل الرئوي نتيجة التدخين تكون أسوأ من الاصابة بالسرطان الرئوي، وان نسبة المدخنين من مرض السل تبلغ 90%.

2- التدخين وارباك التنفس:- التدخين يربك عملية التنفس ويؤدي الى خلل يصيب وتيرة الشهيق والزفير بعكس الواقع وبنفس الامر فان محصلة الزفير تصبح أطول

(1) مجلة العربي/ عدد (147) الكويت/ وزارة الاعلام الكويتية/ شباط 1971/ ص128.

(2) هاني عرموش/ المرجع السابق/ ص73 وما يليها.

من مرحلة الشهيق وهذا خطر على الناحية الصحية لانه يقلل الهواء المستنشق الذي يغني الدم بالاكسجين.

3- التدخين والسعال:- التدخين هو السبب الرئيس لاصابة المدخن بنوبات من السعال ويطرد المصاب به الى الخارج مع هذا السعال فضلات مختلفة كالبلغم والافرازات المطاطية.

ومع اشتداد السعال تطول فترة الزفير على حساب الشهيق وبالتالي ينقص الاوكسجين الذي هو من ضروريات الحياة.

4- التدخين وأثره في اللسان:- يغطي سطح اللسان وأطرافه حليمات ذات وظيفة خاصة وبوجه خاص في قسمه الخلفي عند تأثرها بالتدخين واصابتها بالأمراض ونتيجة ذلك تتجدد تلك الحليمات وتصبح خشنة ثم يصبح تعشعش العضلات وتتخمر وبالتالي يؤدي ذلك إلى التهابات وتقرحات مؤلمة.

وتظهر هذه الحقيقة حين اضطراب حاسة الذوق فيضعف تذوق المدخن للطعام وعدم ادراك نكهته(1).

5- تأثير التدخين على الجيوب:- يوجد جيوب متعددة بعضها متصلة مع البعض داخل الفم والصلة بين التدخين والتهاب الجيوب مؤكدة.

وقد أثبتت الاحصائيات الأميركية حدوث مليون وثمانمائة اصابة بالتهاب الجيوب في كل عام وان 75% من هذا المجموع من المدخنين. كما ثبت علميا ان الدخان يهيج آلام الجيوب.

6- التدخين والفم:- الفم يشمل الشفه واللسان والاسنان والبلعوم. ويعد سرطان الشفة وبوجه خاص السفلي من أكثر أنواع السرطان الناتج من التدخين لان الشفة تتعرض للتخريش وقد أثبتت الدراسات الحديثة العلاقة الوطيدة بين التدخين وسرطان الشفة والبلعوم والحنجرة. والفم أكثر ارتباطات بالدخان لانه المحطة الأولى لدخول الدخان في جسم الانسان. والاسنان تتلوث ببعض السواد وتحصل التهابات في اللثة بسبب التدخين.

(1) د. خليل وديع/ المرجع السابق/ ص74.

7- التدخين والحجرة: أثبت العالم (Tapia) ان بين 987 رجلا مصابا بالسرطان الحجري الذين تابع دراستهم كانوا كلهم مدخنين وان بين كل الست النساء اللواتي تابع دراستهن اربع منهن مدخنات⁽¹⁾.

8- التدخين ورائحة الفم:- تصدر عن فم المدخن رائحة كريهة تربك الانسان ويتنفر منها من يقترب من المدخن ومن الطبيعي ان ذلك يؤثر على الاحتكاك الاجتماعي بين المدخن ذي رائحة كريهة وغيره وبالتالي تسبب هذه الرائحة للمدخن مشكلة تبقى على حذر في تعاطيه مع الأقربين وبوجه خاص مع زوجته.

الفصل الرابع

تأثير التدخين على المرأة وتبعاتها

يتضمن هذا الفصل ثلاث نقاط رئيسة وهي تأثير التدخين على ذات المرأة وجنينها ووظائف الامومة. ويخصص لكل واحدة من هذه النقاط مبحث مستقل.

المبحث الاول

أثر التدخين على المرأة ذاتها

كان التدخين في الماضي حكرا على الرجال وكان تدخين المرأة في الماضي يعد فساد أخلاقها واعوجاج طريقها وانحراف سلوكها لكن بعد ان ظهرت على مسرح الحياة مطالبة حقوقها معتبرة التدخين من مظاهر تمدنها وتحررها اخذت تدخن خفية ثم اعلنت تدخينها فظهرت في المجتمعات والطرق حامله سكارتها نافثة دخانها معتبرة بذلك ابراز مركزها الاجتماعي الذي لا يقل عن مركز الرجل. ومن البدهي ان المرأة دائمة تسعى لان تكون جذابة ومحبوبة وهي في المظهر والحديث والروائح التي تستعملها والألبسة الأنيقة التي تلبسها ونحو ذلك وهي تعبر عن هذه الرغبة الأنثوية الدفينة لذا كل ما يخل بذلك ويحول دون تحقيق رغباتها الذاتية لا يكون من مصلحتها ومن الامور التي تعرقل مصلحتها الشخصية الأنثوية ما يأتي:-

(1) د. عبدالكريم الزعيم/ المرجع السابق/ ص56.

1- يعتبر التدخين عدو المرأة في المجالات المذكورة فهو يسيء اليها من خلال الدخان المنبعث من السكارة التي تتناولها فيؤثر على بشرة وجهها. ويفقدها الكثير من الحيوية والنضارة ويؤدي التدخين الى اسوداد اسنانها واصفرار ما بين الاصبعين اللذين يحملان السكارة.

2- التدخين عامل فعال لاصابة فمها برائحة كريهة تترك الاجواء الحاملة المرغوبة وينفر منها جليسا وبوجه خاص الذين لا يمارسون التدخين وبوجه اخص يقلل من رغبة زوجها في معانقتها ومعاشرتها اذا لم يكن هو ايضا من المدخنين.

3- تأثير التدخين على المرأة أكثر من تأثيره على الرجل:- أشار بحث أجرته الحكومة الهولندية إلى ان التدخين يضر النساء بدرجة أكبر من الرجال وانه يقلل أعمار المدخنات بأكثر من عقد بينما يقلل سنوات أقل من أعمار المدخن. وقد صرحت وكالة (سي.بي.اس) للإحصاء بان مقارنة أعداد الهولنديين الذين ماتوا بسرطان الرئة عام 2003 بسبب التدخين أظهرت ان هذه العادة قلصت من عمر المرأة الهولندية بنحو (11) عاما مقابل (3) اعوام للرجال⁽¹⁾.

4- التدخين والانوثة:- التدخين يؤثر على مضجع المرأة وهجر زوجها اذا لم يكن هو ممارسا للتدخين. ومن البدهي ان المضجع موضع الاغراء وهو يمثل قمة العلاقة الزوجية في المودة والرحمة والسكينة كما يقول سبحانه وتعالى (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)⁽²⁾.

6- التدخين والاضطراب العصبي:- اثبتت الدراسات الحديثة ان جهاز المرأة العصبي أدق في تركيبه من جهاز الرجل وان حاستهن أشد من حاسة الرجال لذا فان التدخين يسبب لهن الاضطراب في الاعصاب والارق المستمر ويشوه بشرتهن وجمالهن ويجعل لونها شاحبا ويورثهن فقر الدم⁽³⁾.

(1) صفحة خاصة نشرها (العربي الحر) حول التدخين ومخاطره تسلسل (20).

(2) سورة الروم/ 28.

(3) التدخين في نظر اهل الطب/ بحث منشور في الرسالة الاسلامية لكاتبه احمد خصير الناصري/ ص8.

7- أثر التدخين على العجز الجنسي والمعاشرة الزوجية: فالزوجة المدخنة تقل رغبتها في المعاشرة الزوجية بالإضافة الى ان كراهية رائحة فمها تجبر الزوج على تركها أو ممارسة التدخين حتى يتساويا في هذه الكراهية فحينئذ يصاب الزوج ايضا بالعجز الجنسي، ويحذر المختصون من الاطباء من التدخين لانه يهدد الحياة الجنسية بالخطر فقد يكمن العجز الجنسي في السكارة التي يحملها العاجز ويرى الباحثون أن أكثر من 25% من الرجال يصابون بالعجز الجنسي بسبب التدخين وقس على ذلك الزوجة المدخنة.

وفي دراسات طبية وعلمية شملت (116) رجلا عاجزا في جامعة بريتوريا في جنوب افريقيا سنة 1986 ثبت ان (108) منهم كانوا مدخنين⁽¹⁾.

8- التدخين والاولاد:- للتدخين أثر سلبي على الأولاد لانهم يقلدون المدخن من الابوين أو أحدهما تقليدهم في تعلم اللغة والصفات الأخرى سواء كانت حسنة أو سيئة كما ان لتدخين الوالدين خطرا سلبيا على صحة الاولاد.

9- التدخين وأزمة قلبية:- اذا كانت المرأة المدخنة تستعمل موانع الحمل التي تؤخذ عن طريق الفم زاد لديها بمقدار عشرة أضعاف خطر الإصابة بأزمة قلبية أو سكتة دماغية أو جلطة دموية في اوردة الساق.

10- التدخين ورحم المرأة:- رحم المرأة كتلة عضلية يحدث النيكوتين فيها تشنجا يؤدي إلى الشعور بنوبات شديدة من الألم وفي حالات الحمل يؤدي الى الاجهاض لان التشنج يمتد الى تصلب الشرايين فتضيق وتنقص كمية الدم فيها بحيث تصبح غير كافية لتغذية الجنين.

وقد ثبت علميا ان تدخين الأم لفافة واحدة يزيد في ضربات قلب الجنين (2/1-1) دقيقة (5-10) ضربات مما يدل على وصول سم النيكوتين مع الدورة الدموية الى جسم الجنين⁽²⁾.

11- التدخين والدورة الشهرية:- الدورة الشهرية في الحالة الاعتيادية للمرأة بعد بلوغها سن اليأس مرة واحدة في كل (28) يوم وهذه المرة تستمر عادة مدة

(1) مجلة المختار تموز 1988/ص21 نقلا عن د. خليل وديع/ المرجع السابق/ص99.

(2) د. عبدالكريم الزعيم/ التدخين بين المؤيدين والمعارضين/ المرجع السابق/ص82.

تتراوح بين (3-5) أيام اذا كانت المرأة متمتعة بصحة كاملة. ونتيجة للتقدم العلمي والطبي اكتشف ان للتدخين اثرا فعالا سبباً على تغيير العادة الطبيعية. وقد قامت احدى اللجان الطبية باجراء دراسة على مجموعتين من النساء تتألف الأولى من (25) ألف امرأة في مستشفيات بوسطن بالولايات المتحدة الأميركية. وتتكون الثانية من (329) الف امرأة في مستشفيات كندا وايطاليا والمانيا فتبين لها في النتيجة ان النساء اللواتي تجاوزن (44) سنة من العمر وصلت سن اليأس في وقت مبكر بالنسبة الى مثيلاتهم ممن لم يمارسن التدخين أصلا وهذا يعني ان التدخين يعجل بالمرأة المدخنة وينهي دورها في العادة الشهرية وفي انجاب الأولاد بفارق زمني يقارب عشر سنوات⁽¹⁾.

12- التدخين وسرطان الرحم:- أكدت دراسة علمية بريطانية ان النساء المدخنات هن أكثر عرضة للاصابة بمرض سرطان الرحم من غير المدخنات لان التدخين يقلل عدد الخلايا التي تحمي الجسم من الاصابة بالعدوى الفايروسية او السرطانية⁽²⁾.

13- كل التدخين له التأثير على الحالة الصحية والاقتصادية والاجتماعية للرجل له نفس التأثير بالنسبة للمرأة وبوجه خاص في الأمراض التدخينية التي سبق استعراض أكثرها في الفصول السابقة.

المبحث الثاني

تأثير تدخين الام على الجنين والولادة

لا تقتصر اضرار تدخين المرأة على ذاتها وحدها بل له انعكاسات سلبية ونتائج خطيرة على الجنين ايضا منذ تكونه الى ولادته بل الى ما بعد الولادة. ونتناول في هذا المبحث آثاره المضررة بالجنين قبل ولادته ومن تلك الآثار ما يأتي:-

(1) د. هاني عرموش/ التدخين بين المؤيدين والمعرضين/ المرجع السابق/ ص82.

(2) مجلة طبيبك/ العدد (201) لعام 1973.

1- التدخين والاجهاض:- تطثر ظاهرة الاجهاض (الاسقاط قبل تكامل التكوين الطبيعي) بنسبة لجنين الحوامل المدخنات بالمقارنة الى غيرهن من الحوامل غير المدخنات لان سموم الدخان تنتقل من جسم الوالدة المدخنة بوساطة الدم الى جنينها فعندما تدخن المرأة الحامل يدخن معها الجنين الذي في بطنها ثم انها تنقل اول اوكسيد الكربون والنيكوتين الى مجرى دمه فيقل بذلك ما يحصل عليه من الاوكسجين وتسرع ضربات قلبه كما ان وليدها يولد في معظم الاحيان معتل الصحة.

2- التدخين ونقص وزن المولود:- ويتبين ذلك بعد الولادة لان الامهات اللواتي يفسدن دمهن لاحتواء الدخان على مادة النيكوتين التي اذا لم تقض على حياة الجنين في بطنها فان دمها الفاسد بتلك المادة يجعل الجنين يولد ضعيف البدن عديم الصحة نحيف الجسم.

وفي دراسات احصائية لمكتب احصائي طبي على مواليد المدخنات تبين ان وزن الوليد ذكرا كان أم أنثى للأم المدخنة يقل دائما عن معدله عند الأولاد من أمهات غير المدخنات بمعدل يصل إلى (480) غم إلى حوالي نصف كغم⁽¹⁾.

3- التدخين ومشاكل الحمل:- اثبت العلم الحديث بضمنه علم الطب المتطور ان النساء المدخنات حملهن أصعب واجهاضهن ايسر فالمرأة الحامل المدخنة تعاني ظاهرة اقياءات الحمل وتلاقي مشاكل أكثر مما تعانيها المرأة غير المدخنة.

4- التدخين والولادة المبكرة اثبتت الدراسات التي اجراها الباحثون على حوامل المدخنات ان الولادة المبكرة تحدث عندهن بنسبة أعلى بكثير من حدوثها عند اللواتي لا يمارسن تدخين التبغ.

5- التدخين وتشويه المولود:- ثبت في المستشفيات العالمية المخصصة لولادة النساء ان الغالبية العظمى من الأولاد الذين يولدون مشوهين اما بالقامة القصيرة او بالرأس الصغير او نحو ذلك من أنواع التشويه الخفيف كانوا أولاداً لامهات يمارسن عادة التدخين.

(1) د. هاني عرموش/ المرجع السابق/ ص83.

6- الالتهاب الرئوي والتهاب الشعب:- اثبتت الدراسات الاحصائية والطبية ان المواليد الذين تمارس امهاتهم عادة التدخين اكثر مراجعة للمستشفى بشكوى الالتهاب الرئوي والتهاب بالشعب الهوائية من اولئك الذين تمارس امهاتهم هذه العادة.

كما اوضحت دراسات أخرى ان فرص التعرض للالتهاب الرئوي والتهاب الشعب الهوائية تكون الضعف اذا كان كل من الاب والام من المدخنين⁽¹⁾.

7- تأثير التدخين السلبي على الاولاد: اثبتت الدراسات العلمية والاحصائية ان اعراض الجهاز التنفسي لدى الاطفال تتناسب طرديا مع كمية دخان التبغ الموجود في بيئة الطفل (المكان الذي يعيش فيه) كما يصاب الاطفال المعرضون لدخان التبغ السلبي بزيادة في سرعة دقات القلب والارتفاع في ضغط الدم⁽²⁾.

المبحث الثالث

تأثير التدخين على وظائف الأمومة

لا تقتصر آثار التدخين على تشويه جمال المرأة ولا على نتائج السيئة بالنسبة للجنين قبل الولادة وانما تشمل تلك الآثار والنتائج السلبية على اولاد المدخنات بعد الولادة كما في الايجاز الآتي:-

1- تدني المستوى والقابلية: ثبت علميا عن طريق الاجراءات الدراسية ان الاولاد الذين رضعوا حليب امهاتهم المدخنات كانوا دائما في مستوى من الذكاء ادنى من مستوى زملائهم من امهات غير المدخنات. وقد بينت دراسة شملت (17000) طفل في انكلترا واسكتلندا وويلز في اسبوع واحد وبعد متابعة لهم سبع سنوات كشفت هذه الدراسات ان اطفال الامهات المفرطات في التدخين اثناء الحمل يتميزون بقصر في القامة وتأخر القدرة على القراءة وضعف القابلية للتكيف الاجتماعي⁽³⁾.

(1) المرجع السابق/ ص 83.

(2) المرجع السابق/ ص 83.

(3) مجلة طبيبك/ المرجع السابق.

2- انخفاض المقاومة:- اثبتت التحاليل المخبرية ان حليب الام المدخنة التي تستهلك عشرين سكاره يوميا يفرز مادة نيكوتين السامة بمعدل نصف مبلغ لكل لتر من الحليب وهذا النيكوتين يسمم الاطفال الرضع بصورة دائمية الأمر الذي يؤدي الى ضعف اجسامهم وانخفاض مقاومتهم ومناعتهم ضد العوامل الجالبة للأمراض⁽¹⁾.

3- قلة الحليب: اثبتت الدراسات الاحصائية ان كمية الحليب عند الام المدخنة تكون قليلة جدا بالنسبة للامهات التي لا يمارسن عادة التدخين بحيث تكون هذه القلة بكمية لا تكفي لاشباع ولدها من الحليب.

4- الموت المبكر لاولاد المدخنات: ثبت عن طريق الدراسات العلمية والاحصائية ان موت مولود المدخنة يكون مبكرا رغم عدم وجود سبب ظاهر او معروف لهذا الموت المبكر.

وقد اكدت الابحاث العلمية وجود علاقة تربط بين عادة التدخين عند الام وموت الوليد مبكرا بدون سبب ظاهر ومعروف⁽²⁾.

5- اكد الفيلسوف تولستوي:- ان الامهات التي يتعاطين الدخان يفسدن لبنهن لاحتواء الدخان على مادة النيكوتين التي تقضي على الجنين في بطن امه او تجعله يولد ضعيف البدن، وعديم الصحة، نحيف الجسم، ويسبب للاطفال بعد الولادة الامراض الاتية:-

أ- الكساح

ب- الصداع

ج- الهستيريا

د- البلاهة

هـ- عطل الكبد

ح- ضعف البنية⁽³⁾.

(1) هاني عرموش/ المرجع السابق/ ص84.

(2) المرجع السابق/ ص84.

(3) التدخين في نظر اهل الطب والدين/ المرجع السابق/ ص80.

الفصل الخامس

تحريم القرآن التدخين بالعلة المنصوصة

ويتناول هذا الفصل دراسة ثلاث نقاط رئيسة موزعة على ثلاثة مباحث يخصص الأول لدراسة تحريم التدخين بالعلة المنصوصة والثاني لبيان حجية العلة المنصوصة والثالث لاثبات معلية احكام الله بالاغراض.

المبحث الأول

تحريم التدخين بالعلة المنصوصة

حرم القرآن الكريم التدخين على اساس كون ضرره أكثر من نفعه في المرحلة الثانية من مراحل تحريم المسكرات الأربع كما في الايضاح الآتي:-
استعمل القرآن الكريم لفظ (الخمير) بمعناه اللغوي العام الشامل لكل مسكر بغض النظر عن نوعه وطبيعته ومواده الاولية فكل ما يخمر العقل ويستتره ويحدث فيه الخلل فهو خمير يقال خميرت أو اختمرت المرأة:- لبست الخمار والخمار ما تغطي به المرأة رأسها.

جاء الاسلام في وقت وكانت الخمور تصنع في كل بيت ويتعاطاها السواد الاعظم من الناس في مجالسهم الخاصة والعامة بحيث اصبح الادمان على تعاطي المسكرات مرضا اجتماعيا مزمنا لا يمكن القضاء عليه بغتة بل كانت مكافحته تتطلب اتخاذ الخطوات التدريجية للتعويد النهائي على الانقطاع التام اذ شاءت حكمة الله ان تعالج كل مرض من الامراض الاجتماعية المزمنة المتوطنة بالتدرج حتى لا يكون للعلاج الفجائي مردود سلبي.

فالطبيب الحكيم الحاذق الجراح اذا اجرى عملية جراحية لمريض يحتاج اليها اذا نجحت العملية يعطي المريض الدم في المرحلة الأولى، والمغذي في المرحلة الثانية، والحليب في المرحلة الثالثة، والطعام الاعتيادي الذي يتناوله الاصحاء في المرحلة الرابعة.

ولو اعطاه في المرحلة الاولى طعام المرحلة الرابعة لقضى الاكل على حياته رغم نجاح العملية.

وهكذا شاءت شريعة الله تعالى ان تعالج الامراض المزمنة الخطيرة بالتدرج والحكمة.

ومن هذه الامراض تفشي مرض استعباد الانسان لاخيه الانسان (نظام العبد والجارية) الذي قضى عليه الاسلام بالتدرج من غير رجعة⁽¹⁾.

ومنها مرض تعاطي الخمر وحرم القرآن هذا المرض الاجتماعي الخطير بالمرحل الاربع الاتية:-

أ- في المرحلة الاولى:- قال تعالى مخاطبا الانسان في كل زمان ومكان قائلا (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا)⁽²⁾ فالقارئ الدقيق لهذه الآية الكريمة يجد في هذه المرحلة لمسة خفية واشارة عقلية ذكية الى ان المسكرات بكافة انواعها قبيحة لذاتها واساس هذا القبح هو الضرر العقلي والصحي والاجتماعي والاقتصادي الناتج من تعاطيها. ومن الواضح ان مدار حسن وقبح الاشياء هو الضرر والنفع لان من مقاصد الشريعة الاسلامية جلب النفع للانسان ودرء الضرر عنه كما قال سبحانه وتعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)⁽³⁾ ففي هذه الآية حصر سبحانه وتعالى الغاية في الرسالة المحمدية في المصلحة البشرية لان الرحمة هي المصلحة الايجابية وهي المنفعة المستحلبة، والسلبية اي المضررة المستدرءة، فكل نافع لذاته أو لغيره بميزان الشرع جائز. ما لم يكن على حساب ضرر الغير، وكل ضار لذاته أو لغيره بمعيار الشرع محرم ما لم تترتب عليه منفعة أهم من مضرته. والقرآن الكريم في هذه الآية عطف (رزقا حسنا) على (سكرا) ومن البدهي ان العطف للمغايرة فهو يدل على ان السكر ليس رزقا حسنا وانما هو رزق قبيح ذلك لانه لا يوجد شق ثالث بين

(1) للاطلاع على تفصيل القضاء على نظام العبيد والجواري ينظر مؤلفنا مجموعة الابحاث العلمية/ البحث الثاني/ ص 39 وما يليها.

(2) سورة النحل/67.

(3) سورة الانبياء/21.

الحسن والقبح فكل شيء أما حسن لذاته أو لغيره، سواء أخذنا بالحسن والقبح العقليين كما هو رأي المعتزلة، أو بالحسن والقبح الشرعيين كما هو رأي الأشاعرة فكل ما هو حسن شرعا فهو حسن عقلا دون العكس الكلي، وكل ما هو قبيح شرعا فهو قبيح عقلا دون العكس الكلي لأن الشريعة الإسلامية لا يوجد فيها حكم يتعارض مع العقل السليم والعلم والفطرة فاذا وجدنا مثل هذا الحكم فهو دخيل وليس من الشريعة.

وبناء على ذلك لا توجد في هذه الآية ما يدل من قريب أو بعيد على ان القرآن اقر اباحة تعاطي المسكرات حتى تاتي الايات في المراحل الاخرى المحرمة صراحة للخمر ناسخة لحكم الاباحة في المرحلة الاولى.

وجدير بالذكر ان الله سبحانه وتعالى بنى الحل والحرمة على الحسن والقبح في اية المرحلة الاولى كما بنى الحسن والقبح على النفع والضرر، فيؤخذ من هذه الآية ان كل ما فيه نفع الانسان لذاته كالعدل أو لغيره كالكذب النافع الذي ينقذ مظلوما من ظلم ظالم فهو حسن مباح وجائز للانسان في كل زمان ومكان. وكل ما فيه ضرر الفرد أو المجتمع لذاته كالظلم او لغيره كالصدق الضار الذي يؤدي الى تسليط ظالم على مظلوم ليظلمه فهو قبيح ومحرم على الانسان.

ب- في المرحلة الثانية:- غير القرآن الكريم أسلوب خطابه في تحريم المسكرات فاعتمد مقابلة أخرى وأحال العقل السليم الى المقارنة بين النفع والضرر، والموازنة بين الربح والخسارة اللذين يكسبهما الانسان من تعاطي المسكرات أو لعب القمار فقال سبحانه وتعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما)⁽¹⁾.

والمراد بالاثم في هذه الآية هو الضرر بقريضة مقابلته بالنفع وهذه الآية لا تدل ايضا على اباحة الخمر فكيف يقر القرآن مشروعية عمل يكون ضرره أكثر من نفعه لبني البشر.

(1) سورة البقرة/219.

بل لا تدل على تحريم المسكرات فحسب وانما تدل صراحة على تحريم كل ما يكون ضرره أكثر من نفعه كالتدخين لان الله لم يجب عن السؤال عن الحكم ببيان الحكم وانما أجاب بالعلة المنصوصة للحكم حتى يشمل كل ما يكن ضرره أكبر من نفعه ويعطي لعقل الانسان السليم قاعدة عامة نصية يطبقها في كل شيء يكون ضرره أكثر من نفعه وهذا ليس من باب القياس كما يزعم البعض لان العلة المنصوصة بمثابة النص الصريح كما يأتي تفصيل ذلك في المبحث الثاني.

وبناء على ذلك لا توجد الاباحة في هذه الآية حتى يزعم دعاة النسخ انها نسخت بآيات المراحل اللاحقة. ومنافع المسكرات أما مادية كالارباح التي تجني من وراء صنعها أو استيرادها أو بيعها، أو معنوية وهي التلذذ الذي يشعر به الشارب للخمر حيث يؤدي هذا الشرب الى خفة عقله وجعله مشلولا لا يتفكر بغير نفسه وهي فترة زمنية قصيرة ثم تزول فكأنها لم تكن أصلاً.

وإذا قورنت هذه المنافع المادية والمعنوية مع اضرارها العقلية والصحية والاجتماعية والاقتصادية يتبين بالبدهة ان ضرر المسكرات بكافة انواعها اكبر من نفعها.

والدليل على ان الآية المذكورة في المرحلة الثانية تدل صراحة وبدون قياس على تحريم التدخين وغيره من كل ما هو ضرره أكثر من نفعه هو ان السائل لم يسأل عن علة تحريم الخمر والقمار وانما سأل عن حكمهما من الحل أو الحرمة ومن المشروعية أو عدم المشروعية فأجاب سبحانه وتعالى بعلة التحريم ليوجه عقل الانسان الى ان كل شيء يكون ضرره أكثر من نفعه يكون محرماً شأنه شأن تحريم الخمر والقمار.

وجدير بالذكر ان ضرر التدخين أكثر وأشد وأقوى من ضرر تعاطي المسكرات والقمار للأسباب الآتية:

1- ان التدخين ليس فيه أي نفع لاي مدخن فلا يوجد نفع مادي ولا معنوي بالنسبة للمدخن ذاته فيكون علة التحريم فيه أقوى منها في تحريم الخمر والقمار.

2- ان ضرر التدخين لا يقتصر على شخص الفاعل المدخن كما هو حال فاعل تعاطي المسكرات ولاعب القمار وانما يتجاوز ضرره الى غيره من كل جليس أو

مختلط معه وبوجه خاص في منزل واحد وهذا ما يسمى التدخين السلبي أو القسري أو بالاكراه.

3- مجال تعاطي المسكرات ولعب القمار محدد بمكانات خاصة أو عامة فلا يتصور عقلا أن يتعاطى الانسان المسكر في الشوارع والطرق وفي وسائل المواصلات ونحو ذلك بخلاف التدخين فان للمدخن الحرية المطلقة في ان يدخن متى شاء أو اين ما أراد.

4- التدخين يعد تهديدا وخطرا حقيقيا على صحة الآخرين وليس الضرر حصرا في نفسه كما في تعاطي المسكرات ولعب القمار وانما يتجاوزه إلى غيره ممن احتكوا به في كل مكان وزمان.

5- يرتبط التدخين السلبي غير المباشر بطائفة من التأثيرات الصحية السلبية الضارة بجسم الانسان منها سرطان الفم والرئة والحنجرة والمعدة وأمراض القلب وتصلب الشرايين فهذه الأمراض الخطيرة مشتركة بين المدخن مباشرة والمدخن تدخيننا سلبيًا بصورة غير مباشرة وهذه الخطورة لا نجدها في كل من الخمر ولعب القمار.

6- التدخين السلبي مردوده السلبي على الأطفال وبوجه خاص الذين يعيشون صباح ومساء مع الأبوين المدخنين وقد ثبت ان التدخين السلبي له خطورة على الأطفال أكثر من الكبار وانهم يتعرضون للأمراض المذكورة ولهم استعداد للاصابة بها أكثر من استعداد الكبار، وهذه الخطورة لا نجدها في تعاطي المسكرات ولعب القمار.

ج- في المرحلة الثالثة:- ضيق الشارع العظيم الوقت على متعاطي المسكرات بطريقة حتمية حتى يتهيأ للكف النهائي كما ان الطبيب يوصي المريض المدخن بترك التدخين فاذا قال لا أستطيع يوصيه بالتقليل منه وهذا لا يعني انه يقرر له نفع التدخين القليل وانما يريد تعويده على الترك القطعي بصورة تدريجية فقال سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما

تقولون⁽¹⁾ وهذه الآية لا تدل من قريب أو بعيد على جواز تعاطي المسكرات خارج وقت الصلاة قبلها أو بعدها⁽²⁾.

د - المرحلة الرابعة والأخيرة:- هي قمة التدرج والاستقرار التام للحكم والخضوع النهائي له وامتثال النهي من جميع المسلمين بدون اية مخالفة وتلك المرحلة هي ما نص عليها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون)⁽³⁾.

فهذه الآية تؤكد بصراحة التحريم الضمني في المراحل السابقة ولا تعتبر ناسخة لاية مرحلة سابقة لان النسخ يكون لحكم مخالف لحكم المنسوخ لانه يأتي لرفع التناقض بين الناسخ والمنسوخ. وزعم النسخ مبني على عدم فهم ما جاء في الآيات المذكورة

فما أصعب فهم الحقائق وما أسهل القول بالنسخ تقليدا للغير بدون استخدام العقل السليم.

المبحث الثاني

العلة المنصوصة وحجيتها

العلة في اللغة:- عبارة عن عارض لا ارادي يحل محلا يتغير به حاله ومنه تسمية المرض علة لانه بحلوله في جسم الانسان يتغير به حاله من القوة والضعف.

العلة في الفلسفة:- قسمها أرسطو⁽⁴⁾ إلى أربعة أقسام⁽⁵⁾:-

(1) سورة النساء/42

(2) وقد اخطا البعض مثل (د. مصطفى زيد/ النسخ في القرآن الكريم/ص837) حيث قال ان الآية دلت بمفهومها المخالف حل شرب الخمر فيما عدا وقت قربان الصلاة).

(3) سورة المائدة/ 90-91.

(4) (384-321 ق.م).

(5) الموسوعة الفلسفية المختصرة ص35.

1- العلة الفاعلة:- وهي ما تكون مؤثرة في المعلول أي في ايجاده كالخالق بالنسبة للمخلوق، والنجار بالنسبة للكرسي الذي يصنعه.

2- العلة المادية:- وهي عبارة عن المواد الأولية للمعلول كالخشب بالنسبة للكرسي والطابوق والسمنت والحديد وغيرها من المواد الأولية بالنسبة للبناء.

3- العلة الصورية:- هي صورة المعلول بعد خلقه واكماله كالشكل الذي يحصل للكرسي بعد اكماله.

4- العلة الغائية:- وهي الهدف المقصود من المعلول كالجلوس على الكرسي. فهذا القسم الأخير من حيث التصور مقدماً يسمى عرضاً أو باعثاً دافعاً ومن حيث التحقق مؤخراً يسمى غاية ونتيجة.

العلة في الاصطلاح الأصولي:- اختلف علماء أصول الفقه في تحديد المعنى المراد منها حين بحثوها في موضوع القياس على أساس انها ركن من أركانه⁽¹⁾:- فمنهم من قال انها معرفة للحكم⁽²⁾ أي علامة على وجوده بحيث اذا تحققت تحقق الحكم واذا انتفت انتفى.

ومنهم من قال انها موجبة (مؤثرة في الحكم بناء على انها تتبع المصلحة والمفسدة)⁽³⁾. وهي قريبة من العلة الفاعلة في الفلسفة، ومنهم من قال انها مؤثرة في الحكم باذن الله بجعله لا بالذات⁽⁴⁾. ومنهم من قال انها الباعث على الحكم⁽⁵⁾.

وفي هذه الحالة تكون على غائية فلسفية ترادف الحكمة وبالنسبة للموازنة بين العلة وبين السبب منهم من قال انهما متساويان فكل علة تسمى سبباً وكذلك العكس.

ومنهم من قال العلة أخص من السبب فاذا كان بين السبب والحكم المترتب عليه مناسبة وملاءمة يسمى العلة كالسرقة لقطع اليد واذا لم يدرك العقل المناسبة بينهما

(1) ينظر جمع الجوامع لابن السبكي وشرحه للجلال المحلي 151/2.

(2) وهم أهل الحق كما يطلق عليهم هذا الاسم علماء اصول الفقه/ المرجع السابق/ ص151/2.

(3) وهو قول المعتزلة.

(4) وهو قول الامام الغزالي.

(5) وهو قول الأمدى: ينظر المرجع السابق/151/2.

لا يسمى علة كدلوك¹ الشمس لاقامة صلاة الظهر في قوله تعالى (وأقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل)⁽²⁾. ومنهم من قال مختلفان.

والواقع انهما مختلفان بالنسبة للاحكام الشرعية في الشرع الاسلامي وفي الفقه واصوله لأنه اذا اريد بها العلة الفاعلة فهي عبارة عن ذات الله في النصوص والاحكام الالهية، والسلطة التشريعية في النصوص القانونية واحكامها.

وإذا اريد بها العلة الغائية فهي عبارة عن المصلحة المتوخاة من التشريعات الالهية والقوانين الوضعية فهي متاخرة عن الحكم وتنفيذه بينما السبب مقدم دائماً على الحكم لبداهة تقدم السبب على مسببه.

ثم ان تعبير (علة) لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ولا في كلام فقهاء الصحابة، ولم يعرف علماء اصول الفقه وفقهاء الفقه الاسلامي هذا المصطلح الا بعد ترجمة المنطق والفلسفة اليونانية الى اللغة العربية فكل ما يسميه علماء اصول الفقه علة فهو سبب.

والعلة الغائية الفلسفية سماها القرآن (حكمة) كما وردت الحكمة في القرآن بمعنى (العمل بمقتضى العقل السليم في ادارة شؤون الدنيا) وهذا اللفظ ورد في عشرين اية من القرآن الكريم منها:-

قوله تعالى (يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة)⁽³⁾

قوله تعالى (وأذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة)⁽⁴⁾.

وقوله تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً)⁽⁵⁾

وقوله تعالى: (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى

هي احسن)⁽⁶⁾.

¹ الدلوك: الزوال والميلان من خط الاستواء.

(2) سورة الاسراء/78.

(3) سورة البقرة/51.

(4) سورة البقرة/231.

(5) سورة البقرة/265.

(6) سورة النحل/125.

وإذا ذكرت الحكمة مع الكتاب في القرآن يراد بها ما يتعلق بتنظيم الامور
الدينيوية في ضوء العقل السليم، كما يراد بالكتاب الاحكام التي تنظم الشؤون الدينية
وبعض الشؤون الدينيوية.

وتفسير الحكمة بالسنة النبوية خطأ كما يفهم من الاية الثالثة المذكورة لانها لا
تعطي لاحد من حيث الصفة الذاتية.
والحكمة في علم الفلسفة يراد بها معرفة حقائق الاشياء والعمل بما هو
الاصح⁽¹⁾.

وقد يطلق على الحكمة تعبير الفلسفة.
والعلة التي تتناول دراستها في موضوعنا هذا نعني بها (العلة الغائية الفلسفية
والحكمة المقصودة من الاحكام).

وقد استعملها بعض علماء اصول الفقه بهذا المعنى وعلى سبيل المثل قال
القرافي⁽²⁾ (الحكمة هي التي لاجلها صار الوصف علة كذهاب العقل الموجب
لجعل الاسكار علة لتحريم الخمر، ومن الحكمة اختلاط نسب الانسان فانه سبب
لجعل وصف الزنى سبب وجوب الجلد، وكضياح المال الموجب لجعل وصف
السرقه سبب القطع، والوصف اذا جاز التعليل به فأولى بالحكمة لانها اصله
واصل الشيء ما لا يقصر عنه) وقال الشاطبي⁽³⁾ (ان المراد بالعلة الحكم والمصالح
التي تعلق بها الاوامر او الاباحة والمفاسد التي تعلق بها النواهي)
فالمشقة علة في اباحة القصر والفطر في السفر والسفر هو السبب والسبب
الموضوع للاباحة ثم يمضي قائلاً:- (فعلى الجملة العلة هي المصلحة نفسها او
المفسدة سواء كانت ظاهرة او غير ظاهرة).

ويتميز المالكيون من بين علماء أصول الفقه بأنهم فرقوا بين السبب والحكمة
والعلة حملوا العلة اينما وردت على العلة الغائية وهي المصلحة المتوخاة من
الأحكام والخضوع لها وتنفيذها وحسنا فعلوا.

(1) المعجم الفلسفي/ د. جميل صليبا/2/160.

(2) العالم الاصولي المالكي في كتابه: شرح تنقيح الفصول/ص406.

(3) العالم الاصولي المالكي في كتابه: الموافقات 1/265.

العلة المنصوصة في القرآن الكريم

ذكرنا ان المراد بالعلة في موضوع تحريم التدخين في أية تحريم الخمر في المرحلة الثانية هي العلة الغائية التي تتمثل في المصلحة البشرية الايجابية (المنفعة المسجلة) والسلبية (المضرة المستدرة).

والمراد بالعلة المنصوصة هي العلة الغائية والحكمة المنصوص عليها في آيات قرآنية او نصوص السنة النبوية بصراحة ووضوح وبوجه قطعي لا تقبل الخلاف والنقاش والجدل.

ومن نماذج العلة المنصوصة في القرآن الكريم:-

قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب لعلمكم تتقون) (1) وحرف (في) في هذه الآية للتعليل اي ان العلة الغائية والحكمة في ايجاب القصاص على من يرتكب القتل العمد العدوان هي ان كل من يدرك انه اذا قتل الغير بدون مبرر يقتل فذا كان قاتلا سابقا لا يتكرر منه القتل مرة ثانية اذا كان على قيد الحياة وهذا ما يسمى (الزجر) في الاصطلاح القانوني وغيره لا يقتدي به وهذا يطلق عليه مصطلح (الردع العام).

2- قوله تعالى (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (2).

فجملة (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) علة غائية لايجاب اقامة الصلاة فاذا اقيمت بروحها وجوهرها تمنع المصلي من كل انحراف سلوكي واتجاه جرمي بسبب طاقة روحيه يكتسبها من استمرارية اقامة الصلاة كوسيلة وقائية. وهناك آيات قرآنية تنص صراحة وبوضوح على علل احكامها الغائية فلا مجال لاستعراضها.

والاوضح من الكل والاكثر صراحة اية تحريم تعاطي المسكرات ولعب القمار في المرحلة الثانية فهي اقوى آيات الاحكام المعللة بالعلل الغائية لانها اتت ببيان

(1) سورة البقرة/179.

(2) سورة العنكبوت/45.

علة الحكم دون الحكم ذاته كما ذكرنا ، فنصت كقاعدة نصية عامة على (ان كل ضار او ما كان ضرره اكثر من نفعه محرم بصورة قطعية).

حجية العلة المنصوصة

علة المنصوصة حجة قطعية غير قابلة للخلاف والنقاش للاسباب الاتية:-

1- اجمع علماء المسلمين من الاصوليين والفقهاء على ان العلة المنصوصة فيما يتعلق بالحل والحرمة هي بمثابة النص الصريح عليهما. والنص الصريح الدال على الحكم دلالة قطعية حجيته غير قابلة للخلاف والنقاش.

2- العلة المنصوصة ليست من باب القياس كما يزعم البعض فلا يكون تحريم التدخين بالقياس على تحريم الخمر والقمار وانما هي قاعدة نصية (لا اجتهادية) تطبق على كل مسألة يكون ضرر موضوعها اكثر من نفعه واذا كان موضوع المسألة ضررا محضا كالتدخين يكون تحريمه من باب اولى و اقوى حجة.

3- الكليات المعقولة المعاني (اي يدرك العقل علل احكامها) تنطبق على الجزئيات المندرجة تحتها بلا خلاف لان الحكم المعلل بالعلة المنصوصة بمثابة الحكم المدلول عليه بنص قطعي الدلالة.

4- العلماء الذين عارضوا حجية القياس كالشيعة الامامية والظاهرية لم ينكروا الاحكام المعللة بعلمها المنصوص عليها.

5- تحريم التدخين ليس من باب قياسه على الخمر والميسر ولا من تطبيقات مفهوم الموافقة وانما هو من باب خضوع الحكم لقاعدة نصية قطعية عامة لا تقبل التردد والاختلاف بخلاف الاحكام المعللة بالعلة المستنبطة⁽¹⁾ والفرق بينهما ان العلة المنصوصة يدل على علمتها النص دلالة صريحة قطعية كما ذكرنا . ودلالاتها على الحكم ايضا قطعية .

(1) لمزيد من الاطلاع على الفرق بين العلة المنصوصة والعلة المستنبطة ينظر مراجع أصول الفقه في باب القياس موضوع العلة ومن هذه المراجع: جمع الجوامع/ المرجع السابق/2/168 وما يليها.

اما العلة المستنبطة فان دلالة النص على عليتها دلالة ظاهرية (ظنية) كما في قول الرسول صلى الله عليه و سلم (لا يقضي القاضي وهو غضبان)⁽¹⁾. فالعلة الغائية لهذا النهي هو ان توتر الاعصاب قد يؤدي الى حدوث الخلل في عدالة حكمه.

المبحث الثالث

معلية احكام الله بالاعراض

غير خاف على ذوي العقول السليمة ان لكل دولة في العالم دستوراً يتناول المبادئ العامة والقواعد الكلية ويحول السلطة التشريعية تشريع القوانين في كل مجال من مجالات حياة المجتمع شريطة ان لا تتعارض هذه القوانين الدستور وهذا ما يسمى في الاصلاح القانوني (دستورية القوانين). كذلك القرآن الكريم بمثابة دستور للأسرة البشرية اقتصر على القواعد الكلية اذ لو تناول الامور جزئياتها لحصل النقص في التشريع الاسلامي لان النصوص متناهية والجزئيات المستحدثة غير متناهية، ومن البدهي ان المتناهي لا يحيط بغير المتناهي لذا اقتصر القرآن على الكليات المعقولة المعاني اي التي يدرك العقل علها وترك ارجاع الجزئيات الى تلك الكليات للعقل البشري وأمر العقول في (49) آية قرآنية بأن تتحرك في كل زمان ومكان في مجال التنظيم والتطوير حسب متطلبات الحياة ومستلزماتها على ان لا يتعارض هذا التحرك مع نص صريح في القرآن الكريم ولا يكون خارجاً عن دائرة الاخلاق التي حدد القرآن محيطها.

ثم ان الله سبحانه وتعالى في كل واقعة وفي كل تصرف حكيم احدهما للظروف الاعتيادية وهذا ما يسمى (العزيمة)⁽²⁾ والآخر للظروف الاستثنائية الذي يسمى (الرخصة)⁽³⁾.

(1)

(2) العزيمة عبارة عن الحكم الأصلي الذي يجب على المكلف الاتيان به كما هو.

(3) الرخصة تبديل الحكم من الصعوبة الى السهولة لعذر مع قيام سبب الحكم الأصلي.

وفي باب الحلال والحرام بين لنا القرآن خمسة اقسام من الاحكام (الوجوب، والندب، والحرمة، والكرهية، والاباحة) وكل حكم من هذه الاحكام الخمسة اما منصوص عليه في القرآن والسنة النبوية بصورة خاصة وبنص خاص او متروك للعقل البشري يكتشفه عن طريق ارجاع الجزئيات الى تلك الكليات المعقولة المعاني في ضوء عللها الغائية وحسب المصلحة البشرية التي انحصرت مهمة الرسالة المحمدية في تحقيقها بمقتضى ضروريات الحياة وحاجيات الانسان في كل زمان ومكان فقال سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) والرحمة كما ذكرنا مرارا هي مصلحة الانسان سواء كانت مادية او معنوية دنيوية ام اخروية.

وعلى هذا الاساس فان الاحكام المبنية على المصالح تتغير بتغير تلك المصالح في جميع الامكنة والازمنة وقد استخدم علماء الاسلام من الاصوليين والفقهاء والفلاسفة المصالح البشرية المشروعة لمعرفة احكام المستحدثات التي لم يرد حكمها في نص خاص على اساس ان احكام الله معللة بالاغراض فهى مصالح بالنسبة للانسان ومقاصد بالنسبة للشريعة وحكم بالنسبة الى الله.

فالغاية من جميع الاحكام التي كلف بها الانسان ضمن قوالب الاوامر والنواهي مقاصد الشريعة ومصالح الانسان وحكم الله لان الله غني عن العالمين اذ لو استغرقت حياة كل فرد من افراد الانسان منذ الخليفة الى نهاية الحياة على كوكب الارض في السجدة والطاعة والعبادة لما زادت من عظمة الله ذرة، كذلك لو استغرقت الحياة البشرية في التمرد والاحاد والزندقة لما نقصت من عظمة الله ذرة.

ورغم هذه الحقيقة فان الفلاسفة المسلمين من المعتزلة والاشاعرة والماتريديّة اختلفوا في معلية الاحكام بالاغراض بين المؤيدين والمعارضين فمنهم⁽¹⁾ من قال: ان احكام الله التي كلف بها الانسان ليست معللة بالاغراض والعلل الغائية وعللوا رأيهم هذا بانه لو كانت احكامه معللة بالاغراض والبواعث والدوافع للزمت نسبة

(1) الاشاعرة.

النقص الى الله واكماله بتلك الارحام والله منزه عن كل نقص وغني عن العالمين كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم (ومن كفر فان الله غني العالمين)⁽¹⁾. بينما قال الآخرون⁽²⁾ بانه مامن حكم من احكام الله الا وهو معلل بعلة غائية قد يدركها العقل وقد لا يدركها والالزم العبث في افعال الله والله منزه من ان يصدر عنه ما هو عبث.

والواقع ان هذا الخلاف رغم اخذه مساحات واسعة من كتب اصول⁽³⁾ الدين الا انه خلاف عقيم لانه لفظي كاكثير خلافات علماء اصول الدين واصول الفقه التي تؤدي الى ضيعة في الوقت والافناء في العمر فيما لا يقدم للبشرية نتيجة ايجابية او فائدة عملية.

ووجه كون الخلاف لفظيا ان من انكر تعليل احكام الله بالعلل الغائية والاعراض ظن ان هذه الاعراض والمصالح تعود الى الله وتكمل نقصه وهذا ما لا يقول به كل ذي عقل سليم لان عدم وجود اي نقص في ذات الله محل الاتفاق قديما وحديثا.

ومن قال بان احكام الله معللة بالاعراض اراد ان تلك الاعراض والمصالح ترجع الى الانسان المكلف باداء تلك الاحكام فمحل الخلاف ليس امرا واحدا لذا يكون خلافا لفظيا عقيما لا مبرر له. لان راي كل طرف بمعزل عن الرأي الآخر.

الفصل السادس

حماية النفوس و الاموال والعقول من ضروريات الحياة

توزع دراسة هذا العنوان على ثلاثة مباحث يخص الاول لحماية النفس ومادون النفس والثاني لحماية الاموال والثالث لحماية العقول.

(1) سورة آل عمران/ 97.

(2) كالمعتولة.

(3) منها شرح المواقف للعلامة القاضي عضد الدين والمللة الايجي وشرحه للسيد شريف الجرحاني وحاشية حسن جليل وحاشية مسعود الزواني. 45/3 وما يليهما.

المبحث الاول

ضرورة حماية النفس و مادون النفس⁽¹⁾

ترجع الضروريات التي كلف الانسان بحمايتها الى خمسة اقسام وهي:-

1- حماية الدين:- لان من لا دين له لا التزام له ومن لا التزام له لا يصلح لان يكون عضوا في المجتمع ولا ان يكون مسؤولا يكلف بخدمة عامة لذا قيل (من له عقيدة فاسدة خير ممن لا عقيدة له).

2- حماية النفس ومادون النفس:- لان الانسان خلق لاداء رسالته والقيام بدوره فاذا اهدرت النفس هدرت رسالته التي كلف بها وهي اداء الامانة التي قال في شأنها سبحانه وتعالى (انا عرضنا الامانة⁽²⁾ على السموات والارض والجبال فابين⁽³⁾ ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما⁽⁴⁾ جهولا⁽⁵⁾)⁽⁶⁾.

3- حماية العرض:- الذي هو اساس استمرارية نوع بنى الانسان بما يليق بمركزه بين الكائنات الحية. فاذا فقدت حماية العرض في اي مجتمع تتحط منزلة اعضاء هذا المجتمع الى مستوى الحيوانية فلا يبقى بينه وبين الحيوان في الاباحية والهمجية فرق.

4- حماية المال:- لانه من مقومات حماية الحياة.

5- حماية العقول:- لان العقل ميزة ينفرد بها الانسان وهو مناط التكليف و اساس تحمل المسؤولية ووسيلة للتقدم البشري وتحقق الحضارة وتطورها.

(1) المراد بحماية النفس حماية الارواح والمراد بما دون النفس حماية اعضاء الجسم البشري من الاعتداء عليها.

(2) الامانة هي كل ما يجب أن يقوم به الانسان تجاه غيره.

(3) أي اباة اعتذار لا اباة تمرد لتقل تحمل مسؤوليتها.

(4) صيغة مبالغة ظالم لانه ظلم نفسه لتقصيره في المستقبل في القيام بأداء هذه الامانة.

(5) صيغة مبالغة جاهل لانه جهل النتائج السلبية التي تترتب على اهماله أو تقصيره في اداء هذه الامانة.

(6) سورة الأحزاب/72.

فهذه المصالح الخمس يطلق عليها مصطلح (المصالح الضرورية) او (مقاصد الشريعة) فاي مجتمع يختل فيه مصلحة من المصالح الضرورية يختل نظامه وتسود فيه الفوضى وتتغلب الرذيلة على الفضيلة.

وهي مصالح معتبرة نص القران على اعتبارها ويحق للمجتهد ان يبني عليها الاحكام لتنظيم الحياة في كل ما لا نص فيه وقد قسمها علماء اصول الفقه من حيث الاعتداد و عدمه الى ثلاثة اقسام:-

أ- المصالح المعتبرة: وهي التي نص القران على اعتبارها وامر بالعمل بمقتضاها و بناء الاحكام التنظيمية عليها فهي تشمل المصالح المشروعة كافة.
ب- المصالح غير المعتبرة: وهي التي نص الشارع على عدم اعتبارها وعدم جواز بناء الاحكام عليها فتشمل جميع المصالح غير المشروعة.
ج- المصالح المرسلة:- وهي التي لم يرد نص على اعتبارها ولا على عدم اعتبارها.

وفي رأينا المتواضع انه لا توجد في شرع الله ولا في علمه ما يسمى المصلحة المرسلة لان كل مصلحة في الماضي والحاضر والمستقبل لم يرد بشأنها نص خاص اذا كانت تخدم مصلحة معتبرة فهي معتبرة وتدخل في بابها وكل مصلحة تخدم مصلحة غير معتبرة شرعا تعد من فصيلة الاحكام غير المعتبرة فهي بمثابة مصلحة نص الشرع على عدم اعتبارها وعدم جواز العمل بها. لذا نرى ان هذا التقسيم الثلاثي لا يليق بشرع الله فاقترح الغاء القسم الثالث وحذفه في مراجع اصول الفقه.

متطلبات حماية الحياة

أ- من حيث الوجود:- شرع الله الزواج بين الصنفين⁽¹⁾ (الذكر والانثى وخلق بينهما السكينة والمودة والرحمة للانجاب البشري كما قال تعالى (ومن ان خلق لكم

(1) استعمل الفقهاء وعلماء القانون تعبير (الجنس) بدلا من (الصنف) وهذا خطأ شائع لا يغتفر لان الجنس تدرج تحته الانواع وهي مختلفة في حقائقها وماهيتها، كجنس الجريمة تدرج تحتها أنواع الجرائم المختلفة في الماهيات والحقائق كالقتل والسرقه وخيانة الامانة ونحوها.

من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون(1).

وذلك لاستمرارية حياة بني نوع الانسان بما يليق بمركزه من بين الكائنات الحية على كوكب الارض فتكوين الانسان مبني على قيام رابطة الزوجية بعيدة عن الاباحة الحيوانية والهمجية.

ب- من حيث الحماية من الاعتداء الذاتي:- فرض على الانسان امورا تتعلق بحماية الشخص لنفسه وعدم الاعتداء على صحته وحياته منها ما يأتي:-
1- على الانسان ان يتناول الطعام والشراب من الطيبات بصورة مستمرة للمحافظة على حياته فقال تعالى (ياايها الذين امنوا كلوا من الطيبات ما رزقناكم واشكروا لله)(2).

2- فرض على الانسان عدم الافراط في العمل واعطاء نفسه قسطا من الراحة النفسية والقلبية والبدنية كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (ان لنفسك عليك حقا)(3).

3- امر الانسان ان ياخذ حصته من خيرات الارض لحماية سلامة بدنه ووقاية حياته واستمراريتها فقال تعالى (ولا تنس نصيبك من الدنيا)(4).

4- امر الانسان باستثمار خيرات الارض والانتفاع بها لحماية حياته قال تعالى (وكتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون)(5) أي الذين يحسنون استثمارها للانتفاع بخيراتها واستمرارية حياتهم.

5- امر بنظافة البدن والالبسة والمكان والقلب كما في الصلوات الخمس.

6- حرم الانتحار واعتداء الشخص على نفسه بالقتل لان الحياة كل فرد مشتركة بينه وبين المجتمع فلا يملك كل انسان ان يتصرف في جسده بما يضر سلامته

(1) سورة الروم/ 21.

(2) سورة البقرة/172.

(3)

(4) سورة القصص/77.

(5) سورة الانبياء/105.

وبقائه. قال تعالى (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيمًا)⁽¹⁾ ومن الواضح ان هذا يشمل القتل المباشر كما في الانتحار والقتل غير المباشر كما في التدخين.

7- حرم ما يجر الانسان في المآل الى التهلكة قال تعالى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة)⁽²⁾ ومن الواضح ان ممارسة التدخين تجر الانسان بصورة تدريجية الى التهلكة في الصحة والحياة.

ج- من حيث الحماية من الاعتداء الخارجي:- فرض الدفاع عن النفس وحرم القتل واوجب القصاص كالاتي:-

1- فرض على الانسان الدفاع الشرعي في حالة غياب من يدافع عنه فقال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)⁽³⁾ والدفاع الشرعي لا يقتصر على دفاع الشخص عن نفسه بل يجب ان يدافع عن غيره كما يدافع عن نفسه.

2- وحرم القتل بدون مبرر شرعي قال تعالى (من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا)⁽⁴⁾.

3- وفرض القصاص على المعتدي على النفس ومادون النفس وجعل القصاص سببا لحماية الحياة فقال تعالى (ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب)⁽⁵⁾ وقال في القصاص الاعتداء على النفس (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى)⁽⁶⁾ وقال في القصاص الاعتداء على ما دون النفس (وكتبنا عليهم فيها)⁽⁷⁾ ان النفس بالنفس والعين بالعين والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص)⁽⁸⁾ وهكذا فرض الله على الانسان ان يحمي نفسه كما فرض على السلطة العامة توفير

(1) سورة النساء/29.

(2) سورة البقرة/195.

(3) سورة البقرة/194.

(4) سورة المائدة/32.

(5) سورة البقرة/179.

(6) سورة البقرة/178.

(7) في التوراة ومن البدهي ان شرع من قبلنا شرع لنا اذا اقره القرآن.

(8) سورة الاسراء/45.

الامن والاستقرار لحماية حياة الافراد الخاضعين لها ومنع انتشار كل ما يضر بالصحة العامة.

المبحث الثاني

ضرورة حماية الاموال

كما ان حماية الحياة قد تكون من الاعتداء من الشخص ذاته وقد تكون من الاعتداء الخارجي كذلك حماية المال تكون من الاعتداء الذاتي كما تكون من الاعتداء الخارجي.

أ- من صور الاعتداء على المال من قبل صاحبه ذاته ما يأتي:-

1- حرم التبذير وهو صرف المال في غيره موضعه او في محل لا معقول كالتدخين فقال سبحانه وتعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذيرا فبدلا من ان تبذر مالك في التدخين اعطه لذوي القربى والمساكين وابن السبيل ووصف المبذرين بانهم من اخوان الشياطين فقال: (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)⁽¹⁾ صفة المبذر تنطبق على المدخن شرعا وقانونا وعرفا.

2- التدخين اسراف والله لا يحب المترف فقال تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المترفين)⁽²⁾ وقال (كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المترفين)⁽³⁾.

3- حرم الاكل بالباطل فقال سبحانه وتعالى (ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل)⁽⁴⁾ لان المال الذي يصرفه المدخن هو جزء من نفقة من تجب عليه نفقته ويقطع من قوت أسرته بعضا من متطلبات عيشتهم وبوجه خاص اذا كان المدخن غير متمكن ماليا.

(1) سورة الاسراء/27.

(2) سورة الانعام/14.

(3) سورة الاعراف/31.

(4) سورة النساء/29.

4- للتدخين اضرار اقتصادية عامة كبيرة لانه يمثل احد معوقات التنمية الاقتصادية وبوجه خاص في الدول النامية فهو كما يضر بالاقتصاد الشخصي يضر بالاقتصاد العام والدخل القومي.

5- تشير احصائيات المنظمة الصحة العالمية الى ان عادة التدخين مستمرة في الزيادة في العالم وبوجه خاص بين الشباب وان الخط البياني نحو الصعود رغم انه يجلب كارثة اقتصادية واجتماعية وصعبة لافراد الاسرة البشرية مالم توضع طرق علاجية لهذا الوحش الحضاري. الذي استسلم له الناس من الذكور والاناث ومن الكبير والصغير ومن الفقراء والاغنياء.

ب- حماية الاموال من الاعتداء الخارجي:- الاعتداء الخارجي على المال العام اما جزائي او مدني فهو جزائي اذا كان مقترنا بالقصد الجنائي والا فهو مدني. مثلا الاعتداء الجزائي حدد المشرع والقانون لها العقوبة ففي الشريعة عقوبة السرقة حددها القران في قوله تعالى (السارق والسارقة فاقطعوا ايدهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)⁽¹⁾.

وجريمة الغصب عقوبتها تعزيرية ترك تقديرها للسلطة التشريعية الزمنية لكن الجريمة ذاتها ثابتة بالنص القرآني كما في قوله تعالى (ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل)⁽²⁾ والمسؤولية المدنية عن الاعتداء على مال الغير اما عقدية وهي الاخلال بالتزام تعاقدي (اي الاخلال بالتزام خاص) واما تقصيرية⁽³⁾ وهي الاخلال بالتزام العام (اي الالتزام بعدم الحاق الضرر بالغير بدون مبرر) وفي الحالتين الجزاء عبارة عن التعويض المالي لاملاء الفراغ الذي تركه الاعتداء على المال المعتدي عليه.

(1) سورة المائدة/38.

(2) سورة البقرة/ 188.

(3) عناصر المسؤولية التقصيرية ثلاثة: العمل غير المشروع الذي يسمى الخطأ والضرر، وعلاقة السببية بينهما.

فجزاء الاعتداء على مال الغير عن طريق السرقات في الاسلام حدية وفي القانون تعزيرية متروك للسلطة التشريعية الزمنية وجزاء كل اعتداء على مال الغير (عدا السرقات) متروك للسلطة التشريعية اي يكون تعزيريا. وفسلفة الجزاء في الشرع والقانون سواء اكان جنائيا ام مدنيا حماية الاموال من الاعتداء عليها من طرف خارجي.

المبحث الثالث

ضرورة حماية العقول

الميزة الوحيدة التي يتمتع بها الانسان وتؤهله لان يكون سيد الكائنات الحية هو العقل وحده فالحيوان يشترك مع الانسان في جميع مستلزمات الحيات وفي جميع الاعراض الذاتية والخواص بأستثناء ميزة العقل فهي يختص بها الانسان دون غيره لذا فرض على الانسان ان يحافظ على هذه الميزة حتى يحتفظ بسيادته على الحيوانات والجمادات في كوكب الارض فبالعقل يميز الانسان بين الخير والشر، والنفع والضرر وبالعقل ينظم الانسان حياته ويضع حدود وضوابط التصرفات بحيث ياخذ كل فرد حقه في الحدود المحددة ولايتجاوز على حق الغير. وبالعقل يكتسب الانسان المجهولات من المعلومات المخزونة لديه لتطوير حياته نحو الافضل.

وبالعقل تتكون الحضارة البشرية وتتطور الخدمات الضرورية في الحياة. وغير ذلك من انجازات العقول التي لا تعد ولا تحصى ولهذه الاهمية حرم الشارع العظيم على الانسان كل ما يعطل هذه الميزة عن انتاجه او يحدث فيه خلا يجعله مشلولا كليا او جزئيا بحيث يخرج عن العالم الانساني ولا يفكر الا فيما يتعلق بنفسه.

فحرم الشرع على الانسان المسكرات والمخدرات بانواعها كافة. وزعم كثير من الناس ان القرآن لم يحرم صراحة المسكر كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير ونحو ذلك وهذا الزعم باطل للدلالة الاتية:-

اولا:- اعتبر القران المسكر عملا قبيحا لكونه مضرا لذاته فهو قبيح محرم لذاته شرعا او عقلا فقال سبحانه وتعالى (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) وقد اوضحنا سابقا ان عطف الرزق الحسن على السكر دليل قطعي على ان المسكر رزق قبيح لانه لا يوجد شق ثالث بين الحسن والقبيح. ثانيا:- بين لنا القران الكريم بنص صريح ان ضرر الخمر التي تشمل كافة انواع المخدرات والمسكرات اكثر من نفعها فقال تعالى (يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) فالعقل السليم قبل الشرع وبعده يقضي بان كل مايكون ضرره اكثر من من نفعه عمل غير مشروع وغير معقول.

ثالثا:- وضع القران الكريم الخمر في مصاف الانصاب (الأصنام) فقال (انما الخمر والميسر والانصاب...) وتقديس الاصنام من الجرائم الكبرى بل هو شرك لا مجال للعفو والمغفرة فيه فقال تعالى سبحانه (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما)⁽¹⁾. وبمقتضى هذه الاية كل ذنب يرتكبه الانسان قابل للعفو والمغفرة باستثناء الشرك الممثل بتقديس الاصنام وعبادتها.

ومن الواضح ان وضع المسكر في مصاف الصنم لدليل قاطع على ان تعاطيه جريمة من الجرائم الكبرى.

رابعا:- وضع القران الكريم تعاطي المسكرات و المخدرات الى جانب الازلام التي هي قمة الكفر والضلال والخطورة فقال تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام) الآية.

والازلام سهام كانوا قبل الاسلام يكتبون على بعضها (امرني ربي)⁽²⁾ وعلى البعض الاخر (نهاني ربي) ويتركون الباقي خاليا من الكتابة ثم يضربونها فان

(1) سورة النساء/47.

(2) المراد بالرب هنا هو الصنم.

خرج الامر اقدموا على الفعل الذي اعتزموا القيام به وان خرج النهى انتهوا وان خرج السهم الذي لم يكتب عليه شيء اعدوا ضرب السهام مرة اخرى⁽¹⁾.
وقد حرم الله الاستقام بالازلام لما فيه من السخافة في الراي والفساد في العقيدة ومن الخرافات الوثنية والجاهلية.

خامسا:- وصف القران المسكرات والمخدرات بانها رجس اي نجس لذاته غير قابل لازالة نجاسته والفرق بينه وبين الرجس ان الثاني لا يقبل التطهير والتنظيف فقال تعالى(انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس).

سادسا:- نص القران على ان تعاطي المسكرات والمخدرات من عمل الشيطان فقال تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان)فهل هناك عاقل على سطح كوكب الارض يقول بان عمل الشيطان مباح وهو عدو الله وعدو الانسان.

سابعا:- تعاطي المسكرات يجعل العقل مشلولا او خفيفا لا يدرك قيمة شخص يجالسه او يصاحبه في حالات السكر وفقدان الوعي فيعتدي عليه او على غيره بالعمل و الكلام غير اللائق وهذا السلوك من الاعمال غير الشرعية.
فكل وسيلة تجر الانسان الى ارتكاب عمل غير مشروع مرفوضة شرعا وغير مشروعة فقال سبحانه وتعالى (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر).

ثامنا:- تعاطي المسكرات والمخدرات يحول دون ذكر الله ودون التفكير في مصالح المجتمع ومصالح اسرته لان السكران حين سكره لا يتفكر الا بشؤون نفسه بحيث يمنع ذلك عن عبادة الله وفي مقدمتها الصلاة التي هي رابطة بين العبد وخالقه فقال تعالى (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة).

تاسعا: وفي نهاية الاية قال تعالى (فهل انتم منتهون) فهذا الاستفهام انكاري وهو اقوى بكثير من النهي وصيغة التحريم.

(1) الاستاذ باقر خليل الخليلي:- الخمر واضرارها الصحية حرمتها الشريعة/ص22.

عاشرا:- استعمل القران الكريم في هذه الاية تعبير (فاجتنبوه وعادة هذا التعبير لا يستعمل الالمام فيه خطورة وعلى سبيل المثل في الامراض السارية يقال لا تقتربوا من المصاب بالتدرن الرئوي مثلا بينما يقال في الطاعون (كوليرا) فاجتنبوه لان الثاني اخطر من الاول فقد يصاب به الانسان من بعيد. ونكتفي بهذا من استعراض الادلة النقلية والعقلية على تحريم الخمر بجميع انواعها.

وكل دليل من هذه الادلة المذكورة يكفي وحده لان يكون حجة قاطعة على تحريم الخمر وعلى تحريم التدخين من باب اولى لان الخمر فيه نفع وضرر لكن ضرره اكثر من نفعه بخلاف التدخين فانه لا يوجد فيه اي نفع لا من قريب او بعيد.

وفي الختام نقول:-

- * من مهزلة العقل البشري أن يتخذ الانسان عدوه اللدود جليسا خليلا ودودا.
- * من نضج عقل الانسان أن يخضع ارادته لعقله دون العكس.
- * من شجاعة المرء أن لا يذل امام نفسه الامارة بالسوء.
- * من سوء التقدير الاستسلام لهذا الوحش الحضاري (التدخين).